يا معشر النساء

رفقاً بالرجال

بقلم
دكتورة نجاح أحمد الظهار

دار المحمدي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٠هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الظهار، نجاح أحمد

يا معشر النساء رفقاً بالرجال - ط٣- جدة

...ص ؛ ... سم

ردمك : ٩٩٦٠-٧٢٥-٥٥-٠.

١- الحقوق الزوجية ٢- العلاقات الأسرية أ- العنوان

ديوي ١، ٢١٩ ٢٠/١٢٩١

رقم الإيداع : ٢٠/١٢٩١

ردمك : ٩٩٦٠-٧٢٥-٥٥-٠

الطبعة الثالثة

١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

الناشر

دار المحمدي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

جدة - حي الجامعة - شارع عبد الله سليمان

هاتف ٦٨٩٧٥٠٩ ــ ناسوخ ٦٨٠٢٦٠٤

ص.ب ٩٣٤٧ الرمز البريدي ٢١٤١٣

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

إهداء

إلى كل حواء يمتلئ قلبها بالحب .. والود والحنان .

إلى كل حواء .. ترغب في صدق الحفاظ على جنتها .. والعيش بأمان .

إلى كل آدم .. انطفأت البسمة من على شفاهه .

إلى كل آدم .. قاسى من تقصير حواء في حقوقه وواجباته .

إليهما ... أهدي هذا الكتاب راجية أن تتعانق الأرواح في حب وتسامح ووفاء .

الكاتبة

د . نجاح أحمد الظهار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

استطاعت التغيرات الحضارية المعاصرة أن تؤثر على سلوكيات المرأة وطريقة تعاملها مع الرجل سلباً وإيجاباً ، حتى أن بعض الأصوات أخذت تعلو مطالبة بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء ، واشتطت في الطلب وتعدت على حدود الله ، فطالبت بمساواتها حتى في الميراث الذي وضع شرعه المولى عزّ وجل .

وطفقت المرأة تطالب بالمساواة حتى في الأعمال الخاصة بالرجل كالزعامة والولاية والقضاء متناسية قوله ﷺ « **لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة** » ، وهذا الحديث ليس انتقاصاً من فكر المرأة وعقلها وحصانتها ، وما قاله المصطفى ﷺ إلا لعلمه بتكوين المرأة ، وغلبت عاطفتها على عقلها إضافة إلى المهام العظيمة المسندة إليها من حمل وولادة ، وتربية ورعاية .

كما أدّى استغلال المرأة الاقتصادي وخروجها إلى العمل إلى تغيير جزري في نمطية العلاقة بينها وبين الرجل ، فمن النساء من استطاعت أن تتغلب على هذه التغيرات مهتدية بالمصابيح المحمدية تسير على هداها ، وتعرض أمرها على نهجها الصالح لكل زمان ومكان .

ومن النساء من انخدعت ببريق الشعارات الحضارية الزائفة فأخذت تلهث خلف سرابها حتى إذا اصطدمت بالواقع فاقت من سكرتها تقلب كفها حسرة وندامة على جنتها التي أصبحت خاوية على عروشها ، فالزوج الحنون قد ولّى هارباً

من جحيم الحياة معها ، والأبناء فروا يتخبطون في دياجير الظلم .

لكنني اكتشفت من خلال نفاد طبعة الكتاب الأولى تلهف المرأة وحنينها إلى الحفاظ على جنتها ، وحلمها دوماً ببقاء ظلالها وارفة وهي تسعى دائبة إلى معرفة أخطائها كي تتحاشاها .

كما وصلتني خطابات نسائية كثيرة تعترف ببعض الثغرات والفجوات التي كانت تتخلل حياتهن الزوجية ، وإنهن بعد قراءة الكتاب اكتشفنها ، وبدأن في سدها ، وسعدن بالحلول المطروحة .

وكذلك وصلتني خطابات شكر وإشادة من كوكبة من الرجال مما شجعني على تكرار طباعة الكتاب .

أدعو الله أن يوفقني والجميع لما فيه مصلحة الأسرة المسلمة ..
وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم .

المؤلفة

د / نجاح أحمد الظهار .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

تعيش **حـواء** اليوم واقعاً تعصف به تيارات مختلفة قلبـــت كثـيراً مـن المفاهيم وأضعفت كثيراً من القيم المحمودة .

ولمـا كانت **حـواء** هي نقطة الارتكـاز في المجتمـع ، وهـي البـؤرة الأساس ، لأنها الأم والأخت والزوجة والابنة ، ترصدتها العيون ، وحاصرتـها القوى الخبيثة من كل جانب تبغي فسادها ، لتفسد الأسرة بأسـرها ، ويتصـدع المجتمع الإسلامي ، ويتفـكك .

ولمَّا كنت إحدى بنات **حـواء** ، وأعلم بهن ، وأخبر بنفسياتهن ، وأقـرب إلى مشكلاتهن من الرجل ـ فالمرأة أقرب للمرأة ـ حاولت جاهدة أن أتعـايش مع **حـواء** ، وأدلف إلى داخلها أفتش ، وأنقب عن كل ما يزعج آدمها ، لعلـي أفلح في رأب الصدع ، وإصلاح ذات البين ، ورسم البسمة الهانئة على شفاه آدم بإعادة الثقة إلى قلبه ، والهدوء إلى نفسه .

فحـواء التي حيرت العلماء ، والأدبـاء ، والشـعراء ، والفلاسـفـة ـ فعدوها لغزاً لا يمكن معرفة أسراره ، وفك رموزه ، ومخلوقاً عجيبـاً عجـزت الخلائق عن معرفة نفسيته ، فهي عندهم تجمع بين القوة والضعـف ، والجمـال والقبح ، والحب والبغض ، والوفاء والغـدر ، فهي حصيلـة من المتناقضـات السلوكيـة العجيبة ـ ما هي إلا مخلوقة رقيقة ناعمة ، ظلمتها أقـلام القـوم ، لأنهم عجزوا عن فهم طبيعتهـا ، وبالتالي فشلوا في التعامل معها ، وإصلاح ما

اعوج مـــن أمرها .

ولكن هنـــاك من تمكن من سبر أغوار المرأة ، وفتق أكمـــــام أســـرارها ، وأطلع آدم على نفسيتها ، ووضع له أسس فن التعـــامل معـــــها ، حتـــى يتمتـــع بارتشاف رحيقها ، ذاك هو الإسلام ، ومن هـــذا النبـــع بدأت أستقي أفكـــــاري وأخـــذت أذكـــر **حـــواء** بآيـــات الله ـــ سبحانـــــــه وتعـــــالى ـــ وبأحـــاديث المصطفى ﷺ ، وبسيرة أمهات المؤمنين ، والصحابيات الكريمات رضـــوان الله عليهن جميعاً ، هادفة إلى رؤية الأسرة المسلمة وهي ترفل في سعادة ورفـــــاء ، فيتحقق بذلك الهدف من وجودها ، وهو تعمير الأرض ، ونشر كلمة التوحيـــد .

وأحـــسب أن أوضح **لحـــواء** بأنني لا أقصد بلفظ **حـــواء** أن أعم جميـــــع النســـاء ، فهناك من النساء من يعجز الوصف عن الإحاطة بمناقبهن ، وحســـــن عشرتهن ، **ولكني أؤمن بالمثل القائل :** " لكل حسام نبوة ، ولكل جواد كبـــــوة ، ولكل حليم هفوة ، ولكل كريم صبوة " .(١)

فكل أمريء معرض للنسيان فقد قـــال ﷺ : « **كـــل ابـــن آدم خطّـــاء ، وخـــير الخطائين التوابون** » .(٢)

وأؤمن كذلك بأن **حـــواء** أكثر واقعيـــة مـــن آدم ، فـــهي لا تـــتردد فـــي الاعتراف بخطئها ، ولا تحجم عن إصلاح أمرها ، وهذه الحقيقـــة قد اعـــــترف بها آدم ، **فقـــال :** " مشكلة الرجـــل أنه لا يعترف بأخطائه ، ويزيد علـــى هـــذا بأن ينسب مسؤولية هـــذه الأخطاء إلى غيره في هيئة ثورة ، وغضب يشعرانه

---

(١) جمهرة الأمثال : ٣٠٨/١ .

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيره عن أنس بن مالك ﷺ ، وهو حديث حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير : ١٧١/٤ ، تخريج المشكاة : ٢٣٤١ .

أنه على حق ، ولم يرتكب أي خطأ ، أما المرأة فهي أكثر واقعية من الرجـــل ، وأكثر شجـاعة منـــه ، وأقدر على تكييف حيـاتها في كل الظـــروف ، فـــهي قلمـا تتردد في الاعتراف بأخطائها حتى لو لم تكن مسؤولة مسؤولية مباشـــرة عن الأخطــاء " [١]

وأخيـــراً .. أقول **لحـواء** ما شجعني على الكتابة لـــك إلا تقتـي وإيمـاني بوفائك ، وحرصك على بقاء جنتك ، وتفانيك ، في إرضاء آدمك لأنك مجبولـــة على إنكار الذات ، وحب الخير .

---

(١) رسالة إلى **حـواء** : ٦/٤٩ .

ماذا تريد حواء

حـواء اليوم .. تنكرت لأنوثتهــا ، ووأدت أمومتها جرياً خلف المكانـــة الاجتماعية ، وتحقيق الذات ، فخرجت إلى العمل ، وجرت لاهثة فـــي ســاحات العــلم ، وتشبثت بأستار الهيئات الاجتماعية ، تريد أن تضرب في كـــل مكـــان بسهم ، متناسية وظيفتها الأولى ، وهي **ربـــــة الأســـرة** .

فحـــواء .. قبل أن تتزوج لها أن تسهم في كل مجال أرادت حتى تشـــغل وقتها بكل ما هو مفيد ونافع ، فواجـــبها الأول والأخير هـــو اســتغلال أوقـــات الفراغ بما يعود عليها وعلى مجتمعها بالخير .

أما إذا تزوجـــت .. فيجب أن تعي أن حياتها الأولـــى قـــد تغـيرت ، وأن وظيفتها الأولى أصبحت هي البيت والأولاد ، وإن كانت تحمل أكبر الشهادات .

ولكن للأسف نجد المـــرأة تريد أن تحصل على كل شيء ، تريد أن تتعلم ، وتحصل على أكبر الشهادات ، وفي نفس الوقت تريد أن تعمل وتحصـــل علـــى أرفع المناصب ، وتريد أن تتزوج وتحصل على أفضل زوج ، وتريـــد أن تلـــد لتحصل على أكبر قدر من الأولاد ، وتريد أن تخرج إلى المجتمع لتحصل علـــى أعظم المراكز الاجتماعية وفي أوسع نطاق !!!

وفي النهـــاية .. وبعد الجري اللاهث تجد نفسها تجري خلف سراب ، وأن كل آمالها قد انهارت ، لأنها بَنَتها على أساس ضعيف واهٍ .

فعلى المـــرأة .. أن تتريث وتتعقل ، وأن تحدد خطوط مسيرتها في الحياة ، وتحدد الأولويات لتعطيها حقها كاملاً ، ثم تنظر إلى الأمور الثانوية وتأخذ منـــها بقدر استطاعتها دون تناحرٍ ودون تعدٍ على الأولويات المفروضة .

فإذا أرادت أن تتزوج فلتجعل البيت والأولاد هو هدفها الأول والأخـــير ، فإذا أدت كل ما عليها من حقوق وواجبات تجاه بيتها وزوجها ــ وما أكثر هـذه الحقوق ــ عليها أن تأخذ بطرف يسير من الأمور الثانوية دون أن تؤثر علـى الأولويات ، فإن رأت بعد شروعها في الأمور الثانويـة كـالتعليم ، والعمـل ، والنشاطات الاجتماعية أن بيتها سوف يتأثر فلتترك هذه الأمـور بتقـة ، ودون تردد ، أو لوم نفسٍ .

حواء والحب الحقيقي

على مر العصور ، وتعاقب الأزمان ، تسمع أنات المشتاقين توجع الفؤاد ، ودموع العاشقين تذيب الأكباد ، وروم الوصال هو الغاية ، فسمعنا قصصاً وحكايات أخذت بمجامع القلوب ، وألهبت الإحساس ، وأثارت الشعور والوجدان ، تلك هي " **قصص الحب العذري** " فأصبحت تراثاً أدبياً منقوشاً في مخيلة الزمن ، وإكسيراً يسري في وجدان الأجيال فهل هذا هو الحب حقاً ؟!

إنها ومضة برق خطفت الأبصار ، وبقعة سرابٍ خدعت القلوب .

إن الحب الحقيقي هو ذلك الحب الإيماني الذي يتدفق فيه الشعور الوجداني ، ويفيض بالشوق والرغبة والخوف على المحب ، الخوف عليه ليس من عوارض الدنيا وما فيها من بعد وعدم لقيا ، فقد تتباعد الأجساد ، وتظل الأرواح على لقيا دائمة لا تنقطع .

إن أسمى وأرفع معاني الحب لم يذق حلاوتها إلا القلة التي تخطت بعواطفها حواجز الحياة الدنيا ، وصعدت بحبها إلى روضات الجنان .

هذا هو الحب الحقيقي الذي يجهل طريقه الكثيرون ، فحرموا من لذائذه ، ففاتهم ما فاتهم .

فهل تسمح لي **حواء** بأن أرشدها إلى طريق هذا الحب الذي غاب في عصر الماديات ، وتوارى بعيداً حتى لا يتلوث بأدران المادية ، وإنما قبع في غار لا يعرف طرقه إلا العبّاد .

إن حب الزوج ليس هو تلك الكلمات المعسولة التي تسكبينها في أذنيه ، فيخفق قلبه طرباً .

إن الحب الحـــقيقي أن تفلحي في ربط قلبـــه بالآخرة ، وأن تعمقي حـــب الله في نفسه ، وأن تغرسي خوف الله في ضميره ، وأن تعينه على فعل الخير .

فكثيراً .. ما تتباهى **حـواء** بحبها لزوجها ، وتظل ليلها ونهارها تصف عظـم ذلك الحب ، ولكن لو كشفنا غطاء الحقيقة لوجدنا أن حبــــها دنيـوي زائـــل ، فزوجها الذي تحبه وتخاف عليه من نسمة هواء لا يواظب على أداء صلاتـــه ، حتى صلاة الجمعة تراه يهملها ، وهي لا تحب إيقاظه للصلاة حتـــى لا تقلـق منامه ، وزوجهـــا الحبيب يشرب الدخان ، ويكشف على غير محارمه ، وهـــو كثير الكذب ، والغيبة ، والنميمة .

وهي تعــلم ذلك كله ولكن لا تريد إزعاجه بالنصـــائح !!

مثل هذه الزوجـــة أنانية مخـــدوعة في مشاعرها ، لأنها أحبـــت الرجـل لذاتها ، لدنيتهـــا ، ولو كانت حقـاً تحبه لخافت عليه مـــن القـــبر وضمتـــه ، والحساب ورهبتـــه .

قد تتعذر **حـواء** بأنها تريد نصحه وإرشاده ، ولكنه يغضب ويرفض تقبل أي كلمة !!

هنا أتوقف لأسائل **حـواء** ؟! أين ذكاؤك ؟! لما لا تســـتخدمين الوســـائل الطبيعية التي تسري في دمائك ، هذه الوسائل التي صرح النبـــي ﷺ بفعاليتـــها ونجاحها ، وقوة تأثيرها .

قال ﷺ : ((**لم أر من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن**)).(1)

فالمـــرأة لها غلبة على الرجل مهما بلغت درجة حزمه وشدته .

---

(1) صحيح البخاري : كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم : ١/١/٨٣.

ولقد اعترف الكل بهذه المقدرة الطبيعية المغروسة في داخلها ، **فقـــالوا :**

" المرأة التي تهز المهد بيد تهز العالم باليد الأخرى " .

وقـــالوا : " وراء كل رجل عظيم امرأة " .

فصلاح الأمة مرهون بصلاح المرأة ، **وفسادها كذلك** مرهون بفساد المرأة .

ولقد أدرك الغرب هذا الأمر ووعوه فسلطوا الضوء عليها ، وجعلوا مـــن هـــذا الكائن اللطيف معول يهوي على رؤوس الخير .

وهي أبرع جند إبليس ، وأكثرهم حذقاً إن سارت في كتائبه لذا ذكر المصطفـــي ﷺ أن أكثر أهل النار من النساء !!

فعن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « **أريت النار أكثر أهلها النساء** »[(١)].

ولكن تاريخنا الإسلامي المجيد مليء بقصص النساء اللواتي عرفن طعـــم الحب الحقيقي وتذوقن حلاوته في الدنيا ، وسيتذوقنها بمشيئة الله في الآخرة .

❋ **فهذه عمرة امرأة حبيب العجمي** كانت تحث زوجها على العبادة ، وتغريـــه بالحصـــول على خير زاد ، انتبهت ليلة وهو نـــائم ، فأنبهتـــه فـــي الســـحر ، وقـــالت له : (قم يا رجل ، فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديـــك طريـــق بعيد ، وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا) .[(٢)]

❋ **ولله در امرأة كانت توصي زوجها قائلة :** (أقســـمت عليـــك أن لا تكســـب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي ، بِر أُمَّـــك ، صِل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك) [(٣)]

---

(١) البخاري : كتاب الإيمان ، باب كفران العشير :١٤/١/١.

(٢) صفة الصفوة : ٣٥/٤ .

(٣) صفة الصفوة : ٤٣٧/٤.

* **وما أروع صنيع تلك المرأة التي تدعي هنيدة** ، فقد كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه ، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها ، فتقول لهم : (قوموا فتوضأوا وصلوا فستغتبطون بكلامي هذا ، فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت ، فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تَزَوّجَها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات ..) [1].

* **وهذه أم سليم بنت ملحان** زوجة الصحابي الجليل أبو طلحة الأنصاري تعين زوجها على فعل الخير وتحثه عليه ليزداد أجراً ، وترتفع منزلته في الآخرة يروى أنه : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلاّ ماء ، ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت مثل ذلك ، وقلن كلهن مثل ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : " ومن يضيفه يرحمه الله " فقام رجل من الأنصار يقال له : أبو طلحة ، فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته " أم سليم " هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبياني ، قال فعلليهم بشيء ونوميهم ، فإذا دخل ضيفنا ، فأريه أنّا نأكل ، فإذا هوى بيده ليأكل ، فقومي إلى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ، ففعلت ، فقعدوا ، فأكل الضيف وباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : " لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " وفي آخر الحديث فأنزل الله عزّ وجل قوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة [2] ﴾ [3].**

---

(١) صفة الصفوة : ٣٩١/٤. (٢) سورة الحشر :٩ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة : ٢٦٦/٤ ، وفي تفسير سورة الحشر .

وعن المصطفى ﷺ قال : « **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ، ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قــامت مــن الليــل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء** ».[1]

وهكــذا كان سلفنا الصالح يبحث عن المرأة التي تعين زوجها علـــى عبــادة ربــه .

دخــل الشعبي سوق الرقيق فقيل له : هل من حــاجة ؟ فقال : حاجتي صــورة حسنة يتنعم فيها طرفي ، ويلتذّ بها قلبي وتعينني على عبادة ربي.[2]

---

(١) سنن النسائي بشرح الحافظ جــلال الدين السيوطي حاشية الإمام السيوطي : ٢٠٥/٣ ، كتاب قيــام الليل وتطوع النهار .

(٢) بهجة المجالس :٢٩/٣ .

حواء بين العناية بالأبناء وإهمال الزوج

لا أعلم لِمَ تعتني **حـواء** بزوجها في أول الحياة الزوجية ، ويكــون هــو محور حياتها ، ومركز اهتمامها !!! فتعتني بزينتها ، ورشاقتها من أجل كسـب قلبه ، بل إنها تتخطى المستحيل لأجل إرضائه ، ولكنها بمجرد ما ترزق بــأول مولود حتى تبدأ في إهمال زينتها ورشاقتها فتأخذ في التهام الدهون والسـكريات والنشويات بحجة تغذية الطفل وإرضاعه ، فيزداد وزنها يوماً بعد يوم !!

لم تمر سوى سنتين على زواجها ولكنها تبدو وكأنها فــي الخمســين مــن عمرها ، وهي ابنة العشرين ربيعاً !!

فذلك الشعر الحريري الناعم أصبح وكأنه منشة تنظيف قديمة ، وقد يحلــو لها أن تتأنق فتضع عليه منديلاً وتشده إلى الخلف ، وذلك الفســتان الحريــري الأخضر الذي كان يعجب زوجها قد علاه الغبار داخل الصــوان ، واسـتبدلته بقمصان النوم الفضفاضة فبدت وكأنها فلاحة في وسط الغيط .

فهي لم تعد تحتمل الفساتين الضيقة لأن الخصر النحيل الذي كان يتغزل به الزوج قد دفن بين ركام الشحوم الهائلة .

وتلك الرائحة العطرية الحالمة كانت تفوح منها ، فتطرب قلب زوجها قــد نافستها رائحة الحليب المختمر المنسكب على الملابس .

وذلك الصوت الناعم الذي كان يترنم بأعذب الكلمات قد أصبح صوتاً أجشاً ينعق بكلمات التأفف والتذمر والتعب .

وغرفــة النوم التي كانت تحمل أجمــل الذكريــات تحولت إلى مستشــفى للأطفال فالحفائظ موضوعة فوق التسريحة ، وعلب الحليب مصفوفة على أرفف

الدولاب والأدوية مبعثرة على الخزانة الصغيرة الموضوعة بجانب السرير .

إن تغيير الحـــال وانقلاب الحياة الزوجية رأساً على عقب بعد أول مولـــود يجعـــل آدم يفر هاربـــاً من جحيم هذه الفوضى ــ وحق له ــ إنه يفـــــر إلـــى المقاهي ، ومنتجعات الأصدقـــاء ، وقد يزين له بعضهم السفـــر إلى الخـــــارج لرؤية مباهج الحياة ، وهكذا يصبح الزوج رفيقاً للطيور المهاجرة .

وتظل **حــواء** بعد ذلك تحكي مأســـاتها مع هذا الـــزوج الفار الذي لا يعـــرف قيمة للحياة الزوجية ، ونسيت أنها هي بطلة هذه المأساة وهي كاتبـــــة النـــص ومخرجة القصة .

حــواء...

ليس الـــزوج وسيلة لإنجاب الأطفـــال فقط ، حتى إذا ما حصلـــت علـــى مبتغاك لفظته من قلبك ، وجعلته على هامش حياتك .

وتظلين ترددين عند تأجج أي مشكلة : الحمد لله أنني فزت بهذا الرصيـــد مـــن الأولاد ، أمّا هو فليذهب إلى غياهب المجهول !!

هذه المقالة تنبئ عن مكنونات **حــواء** تجاه زوجها ، وعن الأساس الـــذي انبنت عليه العلاقة الزوجية من بدايتها ، وهو أساس يقوم على المنفعة الذاتية لا المنفعة المشتركة بين الطرفين .

نسيت **حــواء** أن الـــزوج هو الأصل الذي ينبت الثمـــار الصالحة ، ومن لـــم يعتنِ بالأصل ، فلا خير له في صالح الثمر .

حواء وطاعة الزوج

أرى **حـواء** بعد أن ارتادت دور العلم ، ونهلت من مناهلـه ، وحصلـت على أعلى الدرجات العلمية قد نفشت صدرها ، وشـمخت بأنفـها ، واعـتزت برأيها فاستنكرت خضوع **حـواء** لطاعة الرجل !! وأصبح من الصعب كبـح جماحهـا ، أيعقل وهي في عصر تحرر المـرأة أن تقبع ساكنة تحـت جنـاح رجل ؟!!

لقد خُدعت **حـواء** ، وضلت المقصد في متاهات حضارة العصر الزائف .

إن طـاعة الزوج ليس معناها الخضوع والذلة كما يتراءى لبعضهم !!

إن طـاعة الزوج معناها اعتراف بالفطرة ، اعتراف بالأنوثـة والرقـة ، ففيها تجد المرأة نفسها ، وتحقق ذاتها ، وتشعر بالطمأنينة ، والسكون والهدوء .

ولا أقصد بالطـاعة هنا أن تمحو المرأة شخصيتها ، وتصبح آلة صمـاء مجردة من التفكير يحركها الرجل في أي اتجاه شاء .

وإنما أقصد طـاعته في كل أمر لا يخالف الشرع ، أما ما خالف الشـرع فلا طـاعة له عليها !! لأنه لا طاعة لمخـلوق في معصيـة الخـالق ، فعـن عائشة رضي الله عنها : « **أن امرأة من الأنصار زوّجت ابنتها ، فتمعّط** [1] **شـعر رأسها ، فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقالت : إن زوجها أمرنـي أن أصِل في شعرها ، فقال : "لا ، أنّه قد لُعِن الموصِلات** » [2]

وللمـرأة أن تناقش الرجل في الأمور التي تختلف فيها معه ، وتوضح لـه

---

(١) فتمعط : أي تناثر ، وانتتف من أصله .

(٢) صحيح البخاري ــ كتاب النكاح ــ باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية : ٤٢/٣ ، وانظر كذلك : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، كتاب اللباس والزينة :٤٣/٣ .

وجهة نظرها ورأيها بأسلوب المستوضح لا بأسلوب الآمر ، وبأسلوب المستجيب لا بأسلوب المعاند .

فالرجل يحب المرأة شريكة لا منافسة ، وهو أيضاً لا يحب المرأة الجوفاء جامدة العقل ، متبلدة الإحساس كالحجر الأصم يتدحرج في أي اتجاه . فالمناقشة بين الزوج وزوجه ضرورية لبعث الحيوية في الحياة ، وقتل الروتين الذي يولد السأم والملل .

❋ **ولقد سمعت بقصة الشاب** الذي طلق زوجه لأنها لم تنطق بكلمة " لا " قط ، ولم تخالفه الرأي في أمرٍ من الأمور ، فملَّ منها ، وصرَّح بأنه لم يذق طعماً للحياة ، فهي كالدمية الآلية لا تستطيع أن تتصرف في أي أمر ، ولا تبت في قضية مما جعله يحس بالوحدة والغربة في داره .

أما ما يقوم به بعض النساء من محاولة إخضاع الرجل لهن ، ووضعه تحت سيطرتهن ، فهذه مخالفة صريحة للطبيعة الإنسانية ، والفطرة البشرية كيف تكون طعم تلك الحياة التي تسترجل فيها المرأة ، ويؤنث فيها الرجل ؟!!

إنها الطبيعة المعكوسة ، وكل شيء سار في عكس طريقه ضل .

❋ **وهذا المغيرة بن شعبة** يصف لنا الحياة الزوجية الأسرية حين تنحرف الطبيعة عن مسارها ، وحين تسير سهلة ميسورة في قنواتها ، فيقول : " إذا كان الرجل مذّكراً ، والمرأة مذكّرة تصادما[1] العيش ، وإذا كان الرجل مؤنثاً ، والمرأة مؤنثة ماتا هزلاً ، وإذا كان الرجل مؤنثاً ، والمرأة مذكرة كان الرجل هو المرأة والمرأة هي الرجل ، وإذا كان الرجل مذَّكراً والمرأة مؤنثة طاب عيشهما "[2].

---

(١) تصادما : أي اصطدما كما تصطدم الحديدة بالحديدة والمقصود لم يلن أحدهما للآخر .

(٢) بهجة المجالس : ٣٦/٣ ــ ٣٧ .

وقد كانت المرأة العربية في القديم .. تكره الرجل ضعيف الشخصية الذي يتبع المرأة من غير تفكير ، ففي فعله هذا إفساد لطبيعتها .

* **يروى أنَّ هند بنت عتبة** سألت والدها ألاَّ يزّوجها أحد حتى يعرض عليها الأمر ، فخطبها سهيل بن عمرو ، وأبو سفيان بن حرب ، فأخذ والدها يعرض عليها خصالهما ، فبدأ بذكر سهيل بن عمرو ، فقال : أما أحدهما ففي ثروة واسعة من العيش إن تابعتيه تابعك وإن مِلت عنه حَطَّ إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله ، وأما الآخر فموسع عليه منظور إليه في الحسب الحسيب والرأي الأريب ، مِدْرهُ أرومته ، وعزّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظّهرة لا ينام على ضَعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله ، فقالت : " يا أبت الأول سيد مضياعٌ للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فآمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، فاطوِ ذكر هذا عنّي ولا تسمّه عليَّ بعدُ ، وأمَّا الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، وإنّي للتي لا أريب له عشيرة فتعيره ، ولا تصيّره بذعر فتضيره ، وإني لأخلاق مثل هذا لموافقة ، فزوجنيه) (١)

وما أصدق المثل القائل :

الويل للبيت الذي تصيح فيه الدجاجة ويصمت الديك .(٢)

إنَّ الانضواء تحت طاعة الرجل أمرٌ يرتبط بصحة عقيدة المرأة ، وقوة إيمانها ، وبه يتحدد دخولها الجنة . فقد قال ﷺ : ((**أيما امرأة ماتت وزوجها**

---

(١) العقد الفريد : ٧ / ٨١ ــ ٨٢ .

(٢) هواجس النساء : ٩٨.

عنها راضٍ دخلت الجنة »(١).

وعن حصين بن محصن عن عمة له أتت النبي ﷺ في حـاجة لها ، ففرغـت من حاجتهـا ، فقال لها رسول الله ﷺ : " **أذات زوج أنت ؟** " **قـالت : نعـم ، قـال :** " **فكيف أنت له ؟** " **قـالت : مـا آلوه**(٢) **إلا مـا عجزت عنه ، قـال :** « **انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك أو نارك** »(٣).

وقال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « **إذا صلت المرأة خمسها ، وحفظـت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت الجنـة** »(٤).

وروى في سنن النسائي : « **أخبرنا قتيبـة قال : حـدثنا الليث عن ابن عجـلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قيل لرسـول الله ﷺ : أي النسـاء خير ، قال :** « **التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفـه في نفسـها ومالها بما يكره** »(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة : ٤/ ٣٠٣ ، ورواه الترمذي وقال حديث حسن (١١٦١) .

(١) ما آلوه : أي لا أقصر عن شيء أقدر عليه ، وأستطيع أن أفعله لزوجي إلا ما عجزت عن فعله .

(٢) رواه أحمد : ٤ / ٣٤١ ، وقال الهيثمي : رواه أحمـد والطبراني في الكبير والأوسـط إلا أنـه قـال : فانظري كيف أنت له ، ورجاله رجـال الصحيح ، خلا حصين ، وهو ثقـة ، انظر : مجمع الزوائـد : ٤ / ٣٠٦ ، وقال المنذري : رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد ، انظر الترغيب والترهيب : ٣ / ٥٢ .

(٣) قال الهيثمي في المجمـع : ٤ / ٣٠٥ ، رواه الـبزار ، وفيه داود بن الجـراح ، وثقه أحمد وجماعـة ، وقال ابن معين ، وهم في هذا الحـديث ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفـظ آخر ، وقال الألبـاني : وله شواهد يرقى بها إلى درجـة الحسن والصحيح ، انظر : المشكاة : ٢ / ٩٧٢ رقم ٣٢٥٤ .

(٥) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب أي النساء خير : ٦ / ٨٦ ــ دار إحياء التراث ــ وانظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٥١ ــ ٤٣٢ ، الحاكم : ٢ / ١٦١ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني : ٣ / ١٢٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٨٣٨ ، تخريج المشكاة : ٣٢٧٢ .

ولعظم أمر الطاعة قال ﷺ : « **فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه** » .(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « **يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها** » .(٢)

---

(١) إرواء الغليل : ٧ / ٥٥ ـ ٥٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ١٢٠٣ ؛ صحيح سنن ابن ماجة ـ باب حق الزوج على المرأة : ١ / ٣١٢ .

(٢) الترغيب والترهيب : ٤ / ١٢٢ ، قال : رواه البزار بإسناد جيد ، رواته ثقات مشهورون ، وابن حبان في صحيحه ، وذكره الذهبي في الكبائر : ١٨٩ موقوفاً .

حذار من تسرب الأسرار الزوجية

كل البيوت لا بد أن تمر بزوبعة من المشكلات الخاصة التي سرعان ما تتلاشى إن لم تجد ريحاً مفاجئة تثيرها ، ولكن نجد بعض النساء إذا حلت بهن مشكلة قمن بإذاعتها ونشرها بين الأهل والأصدقاء بحجة المشورة ، وطلب الرأي ، أو بحجة الفضفضة عن النفس ، وتخفيف الحِمل ، ويقمن أثناء السرد بإخراج ما في جعبتهن من مساوئ الزوج ــ مع إخفاء المحاسن طبعاً ــ فترتسم في الأذهان صورة مشوهة لذلك الزوج المسكين مما يؤدي إلى نفور الأهل والأصدقاء منه ، وقد تعود المياه إلى مجاريها بين الزوجين ولكن الصورة السيئة لذلك الزوج تظل تعشش في الأذهان .

ولا أعلم كيف تعود تلك المرأة إلى ممارسة حياتها الطبيعية بصدق بعد ما أذاعت كل أسرارها ، وأصبحت حياتها قصة على كل الشفاه ؟!!

إلى جانب أن كثرة الاستشارات وكثرة الآراء في المشكلة قد تؤدي إلى تعقيدها ، لأن كل من يدلي برأيه يدليه بعقلانية بحتة بعيداً عن العواطف التي تربط بين الزوجين .

كما أن كثرة التشكي للناس قد تؤدي إلى ملل السامع وتبرمه من الشاكي مع تسرب الشك في كل ما يرويه من حكايات ، كما أنها قد تؤدي إلى التندر بالمشتكية واتخاذها وحياتها الأسرية مصدراً للتفكه وأداة للتسلية وتمضية الوقت مع لومها في غيبتها على إذاعتها لأسرارها ، ورميها بالسفه والجهل وعدم الحفاظ على حرمة الحياة الزوجية وقدسيتها ، وقد تتعقد المشكلة أكثر فأكثر إذا حكيت للأم والأب وهي في قمة اشتعالها مع تأجج الانفعالات ، لأن عاطفة الأبوة لا تتحمل منظر الابنة المتألمة فتدفعها العاطفة إلى التصدي للزوج

والوقوف في وجهه بعنف بغية تحرير الابنة .

وكم من امرأة أخذت تعض أصابع الندم لأنها سمحت للغير بـــالتدخل فـــي حياتها .

فهذه حــواء ...

التي كان يضرب بها المثل في السعادة الزوجية وحسن معاملة الزوج ، ولكنـــها أخطــأت يوماً حين احتدم النزاع بينهما وبين زوجها لسبب تافه ، ولكن العـــزة بالأثم طغت على كل منهما ، فاندلعت نيران الخصام تأكل الأخضر واليابس مما دفع الزوجة وهي في قمة غضبها إلى الاتصال بوالدها الذي جاء وعويل ابنتـــه يصم أذنيه ، ودموعها في مخيلته أصبحت أنهــاراً ، فأخذ يسرع الخطـــا إلـــى دارها ، وهو يكاد يتمزق غيظاً ، وعاطفة الأبوة تضرم نارها بيـــن جوانحـــه ، والتقى الرحيمان الغريمان وكل منهما يشتعل غضباً حتى احترق الرحـــم الـــذي بينهما ، **وحــواء** في غرفتهـــا قد أفـــاقت من سكرة غضبها ، ولكن بعـــد أن فات الأوان !!

وقفت أمام زوجها ووالدها وهي مذهولة من تلك النهاية المؤلمة التـــي لـــم تخطر لها على بال ، وكان ضحيتها خمسة أطفال أبرياء .

ومن النساء من يحلو لها أن تصب كل صغيرة وكبيرة في أذن أمها حتـــى تصبح الابنة آلة توجه برادار الأم ، فـــهي لا تســتطيع أن تحـــرك ســـاكناً إلا باستشارة أمها، فكأن الحياة هي حياة أمها ، وليست حياتها الخاصة ، وقد فـــات **حــواء** هذه أن الرجل يريد أن يتعايش مع زوجتـــه وأن يتعامل مـــع عقليـــة زوجته لا مع عقلية أمها ، وهذا سبب من أقوى الأسباب التي تدفع الرجل إلـــى الهروب من البيت .

فحواء العاقلة ...

هي التي تحفظ أسرارها الزوجـية وتقوم بحلها بينها وبين زوجهـا بعيـداً عن العيون المتطفلة ، ولكن إذا تأزمت الحال ، ونفدت كل الخطط في حل مشـكلتها لها أن تلجأ إلى أقرب الصديقـات ممن يوثق بدينهـا ، وخلقهـا ، وأمانتهـا وحنكتهـا ، وحسن رأيهـا ، فتستـشيرها في أمرها ، ومـن المستحسـن أن تعرض المشكلة على أنها مشكلة لشخص "ما " دون البوح بخصوصيتها .

حواء في وسط المعركة

إذا اشرأبت عنق الشر ، وأطلت الفتنة برأسها على حياة زوجين هـــانئين ، وتطاير الشرر من عيني الزوج ، وأصبح لسانه سياطاً تشوي قلب الزوجة .

كيف تتصرف حــواء ؟؟ هل تحد شفرة لسانها ، وتشد حبال صوتها ليرتفع فوق صوت زوجها ؟؟ فيهرع الأطفال إلى الاختباء في أركان البيت وزوايـــاه ، وقلوبهم الصغيرة تنتفض خوفاً ، وتهوي في سحيق المجهول .

وعيون الخدم تتلصص في فضول ، وآذان الجيران تصغي في شمات !!

ويشتد حمى الوطيس لتكون النتيجة دفن قلوب بريئة عطشى إلى الحب والأمان وانتصار العيون الحاقدة والآذان المتلصصة .

ولكن حــواء الحكيمة .. هي التي تطفئ نار غضب زوجــــها بهدوئـــها وسكونها وتحاول كل المحاولة في لملمة أعصابها ، لا شك أن داخلها يغلي غلي المرجل الذي تضرمه أفواه الشيطان ، ولكن حكمتها وبصيرتها يجب أن تخمـــد هذا الغليـــان دحراً لمكايد الشيطان ، وحفاظاً على حرمة الزوجية ، وإشفاقاً على القلوب الصغيرة المنكسرة .

ولها بعد أن يهدأ الموقف ، وتخف حدته أن تختلي بزوجــــها فـــي غرفـــة منفردة ، وتوصد من خلفها الباب ، وإذا أوصد البـــــاب ، ورقّ العتـــاب وبـــدأ بأسلوب أنثوي حاذق لا تقريع فيه ولا اتهام سيرفع آدم راية الاستسلام ، ثم تبـدأ مناقشة الموقف مناقشة عقلية عاطفية ، وسيعرف كل امرئ مقدار خطئه .

❋ **ومن أبلغ ما حكي في مثل هذا الموقف** مـــا روي عن أسمـــاء بن خارجـــة حين زوّج ابنته إنه قال لها في ليلـــة زفافها : يا بنية إن كان النساء أحق بتأديبك

ولا بد من تأديبك ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ، ولا تقربي منه جداً فيملَّك أو تمليه ، ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه ، وكوني له كما قلت لأمك :

خُذي العَفوَ مِنِّي تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سَورَتي حين أغضبُ
ولا تنقُريني نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً ... فإنَّكِ لا تدرين كَيفَ المغَيَّبُ
فإنِّي رأيتُ الحُبَّ في القلبِ والأَذَى ... إذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الحبُّ يَذْهَبُ [1]

فهذه الأبيات تكشف عن نفسية الرجل ، فأكثر ما يؤجج الغضب في نفسه هو مجادلته والرد عليه أثناء سورته ، أو إثارته ببعض الكلمات التي تثير أعصابه ، وتتلف المودة ، وتهتك أواصر المحبة .

فعلى المرأة .. أن تعي أن هدوءها أثناء غضب زوجها سيشعره فيما بعد بالندامة والحسرة على ما صدر منه .

❋ **يروى أنَّ عبد الله بن عجلان** كان يحب زوجه حباً شديداً ، ولكنه في لحظة من لحظات الغضب الشيطاني طلقها ، ولم تنبس هي بكلمة ، بل ظلت صامتة ساكتة ، فندم على فعلته ندماً شديداً ، وحزن عليه حزناً عظيماً ، فقال مصرحاً بندمه :

فارقت هنداً طائعاً ... فندمت عند فراقها
فالعين تذري دمعة ... كالدر من آماقها[2]

واستمعي إلى قول أعرابي وهو يصف شر النساء ، فقال : ((شر هن النحيفة الجسم ، القليلة اللحم ، الطويلة السقم المحياض ، الممراض ، الصفراء المشؤومة العسراء ، السليطة الذفراء ، السريعة الوثبة كأن لسانها حربة ،

(١) بهجة المجالس : ٣ / ٥٦ .
(٢) خير النساء وأكرمهن عند الله ورسوله : ٢٠ .

تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها بالحرب » [١].

ويصف النبي ﷺ فن تعامل المرأة مع زوجها في حال غضبه فقال ﷺ :

« **ونساؤكم من أهل الجنة ، الودود الولود ، العؤود [٢] على زوجها ، التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ، وتقول : لا أذوق غمضاً [٣] حتى ترضى** » [٤].

❋ **وهذا أبو الدرداء** يسير على نهج المصطفى ﷺ ، ويجلس مع زوجته ليناقش مشكلة الغضب ، ويضع لها العلاج قائلاً : « **إذا رأيتني غضبت فَترضيني ، وإن رأيتك غضبت ترَّضيتك وإلاَّ لم نصطحب ، قال الزهري : وهكذا تكون الإخوان** » [٥].

وحذار حذار .. من ربط الأحزمة ، وشد الحقائب ، والرحيل إلى ديار الأهل .

فمن أكبر الأخطاء التي تقع فيها **حواء** اليوم هي تركها لبيت الزوجية لأتفه مشكلة تقع بينها وبين آدمها .

رحم الله أيام الأمهات والجدات إذا غضبت الواحدة لجأت إلى غرفتها

---

(١) العقد الفريد : ٧ / ١٠٥ . (٢) العؤود : التي تعود على زوجها بالنفع .

(٣) لا أذوق غُمضاً : أي لا أذوق نوماً حتى ترضى ، قال المناوي : فمن اتصف بهذه الأوصاف منهن فهي خليقة بكونها من أهل الجنة ، وقلما نرى فيهن من هذه صفاتها / فيض القدير : ٣٠ / ١٠٦ .

(٤) حديث حسن ، رواه النسائي في " عشرة النساء " وتمام الرازي في " الفوائد " وعنه ابن عساكر من حديث ابن عباس ، وفيه خلف بن خليفة وهو ثقة لكنه اختلط بآخره لكن له شاهد من حديث أنس ، رواه الطبراني في " المعجم الصغير " : ١ / ٤٦ ، والأوسط ، كما في المجمع : ٤/ ٣١٢ ، قال المنذري في " الترغيب " : ٣ / ٥٧ ، " رواته محتج بهم في الصحيح إلا إبراهيم بن زياد القرشي فإنني لم أقف فيه على جرح ولا تعديل " ، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني رقم :٢٨٧.

(٥) العقد الفريد : ٧ / ٧٩ .

المجاورة بعض الوقت حتى تهدأ الحال ، ثم تعود لتستأنف حياتها .

ولكن حـواء اليوم قد تلجأ إلى مثل هذا الأسلوب مع تطويــره وتعقيــده بعض الشيء ، فقد تتحصن بالغرفة المجاورة أياماً وليالي عقاباً للـزوج بمنعــه حقوقه المشروعة ، وهي لا تعلم أن الرجــل قد يثأر لكرامتـــه فيعافــها بقيــة العمــر ، ورحم الله الأمهات والآباء الذين كانوا يعيدون بناتهم النازحـــات فـــي نفس اللحظة التي يخرجن فيها مع نصحهن بأن ليس للمرأة بعد أن تخرج مـــن بيت أبيها إلا بيت زوجها ، فلا سقف يظلها بعده ، ولا مأوى يأويها مثله .

✹ **وقد حكت لي والدتي** عن امرأة خرجت من بيت زوجها لخصومـــة وقعـت بينهما ، فشدت رحالها إلى بيت والدها الذي حاول وأمها إقناعها بالرجوع إلـــى دارها ، وأن ما وقع بينها وبين زوجهـا أمر يمكن تداركه ، ولكنـــها امتطـت صهوة العناد ، وحكّمت الرأي بعدم العودة !!

فماذا كان تصرف الوالدين ؟؟ لقد اتفقا على تكثيف العبء عليها ، وتخشين معاملتهما لها ، ومنعها من التصرف في كثير من أمور البيت ، وحرمانها مـــن الخروج من الدار لأنها ما تزال في عصمة رجل ، والمجتمع آنذاك لن يرحمـها من لسانه ، وكذلك ضيقا عليها في أمر الزينـــة فلا يحـــق لـــها أن تـتزين إلا لزوجها ، إلى غير ذلك من الخطط التي كانت تتنــاسب وعصرها حتى ملـــت الفتاة ، وشعرت بالغربة في دار أهلها ، وبدأ الحنين إلى تلــك الــدار ، وذلــك الصاحب ، فصاحت تطلب العودة إلى مأمنهـــا ، والأب يتصـــانع الرفـض ، ويماطل في الإجابة ، وهي تزداد إلحاحـاً يوماً بعد يوم حتـــى تـأكد الأب أن الدرس قد أينعت ثمــاره ، ورسخت جذوره في نفس ابنته أعادها إلـــى كنـف زوجها بعد أن تفاهم معهما على نقاط الضعف في كليهما .

حواء والنزيف المادي

يكد آدم ويتعب لجمع قوت العيال ، وتأتي **حواء** في خفة ودلال لتضيع في ساعة ما جمعه آدم في سنة .

فحواء قد رأت عند جارتها " مزهرية " رائعة وجميلة ، وهي زهيدة الثمن لا تتجاوز بعض الألوف ، ورأت عند أختها مفرش طاولة يساوي مرتب زوجها الشهري ، والأطفال قد امتلأت خزائن ملابسهم بجميع الماركات العالمية .

ولكن حواء ترى ضرورة شراء خزائن أخرى ؛ لأن هناك موديلات جديدة قد خطفت بصرها ، وأسرت قلبها ، وهي لا تستطيع أن تغالب رغبتها .

هذا كله وآدم المسكين ينظر إلى ماله الذي قد تعب وسهر في جمعه يتسرب من بين أصابع زوجه في خفة ليصب في جيب غيره ، وهو لا يستطيع أن ينطق بحرف اعتراض ، فهو إن اعترض أغرقته دموع **حواء** ، وإن أبدى وجهة نظر انطلق لسان **حواء** من غمده يسقط كل رأي .

وليت هذا كله قد أسكن نفس **حواء** وأرضى غرورها ، ومالت إلى زوجها تشكره بابتسامة لطيفة ، وكلمة حانية تضمد جراح الغيظ التي فتحتها حماقاتها ونزواتها .

ولكن عدم القناعة وشراهة الاقتناء وحب التملك لكل ما هو جديد زرعت في داخلها القلق ، وكست وجهها بقناع الغضب وعدم الرضى .

فهي دوماً عابسة مكفهرة ، مقطبة الجبين ، ساخطة على مستواها المعيشي .

وآدم في سبيل ابتسامة صافية أصبح يحتال على جيوب أصدقائه حتى أثقل كاهله بالديون ، فأخذ يخفي رأسه عن أعين الدائنين ، ويفر من وجه الأصدقاء والمحبين .

وقد كان للشعر دوره في تصوير شراهة بعض النساء وحبهن للمال ، ***قال الشاعر علقمة الفحل :***

فإن تسألوني عن النساء فإنني ... بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُهُ ... فليس لـه من ودِّهنَّ نصيب
يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ ... وشَرخُ الشبابِ عندهن عجيبُ[(١)]

وكم تندر الأقوام من المرأة المسرفة ، وأطلقوا العبارات التي تصور جشعها ، وتظهر تفاهتها ، وإليك بعض تلك الأقوال :

قال أحدهم : " النساء رياحين القلوب ـ شياطين الجيوب " .

وقال جون باريمور : " المرأة هي المخلوق الوحيد الذي لا يعرف ما يلزمه حتى يشتريه " .

وقال فورستر ووكر : " المرأة على استعداد دائماً لشراء أي سلعة تعتقد أنَّ صاحب المتجر يخسر فيها " .

وهناك مثل انجليزي يقول : " النساء كالطرق تحتاج صيانتهن للمال الكثير " .

وقال الكسندر دوما : " الزواج هو انتقال تدريجي لمحفظتك من جيبك إلى جيب زوجتك " .

وقال درزائيلي : " لم تولد بعد تلك المرأة التي لا تحب أن تشتري شيئاً تافهاً بسعر مرتفع " .

---

(١) ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري : ٣٥ ــ ٣٦ .

وقال أميل زولا : " لذة المرأة الجاهلة أن تنفق ثروة زوجها لتغيظ الأخريات " .

ولكن التربية المحمدية الحقة تأبى أن تكون المرأة بهذه الصورة السيئة ، وتأنف أن ينظر الرجل للمرأة هذه النظرة المادية ، فهذبت طباعها ، وصقلت أخلاقها ، فقال ﷺ حين سأل أي النساء خير: « **الذي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره** » .(١)

وفي سيرة أمهات المؤمنين ، والصحابيات الكريمات أعظم قدوة وأجمل مثل .

❋ **فتلك فاطمة الزهراء رضي الله عنها** تعطينا مثالاً حياً للمرأة المسلمة الصابرة التي تقدر ظروف زوجها ، ولا ترهقه بالطلبات ، لقد وقع زوجها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في ضائقة مالية ، فماذا فعلت رضي الله عنها ؟؟ هل تبرمت من وضعها ، وأشاحت بوجهها عنه ؟؟ هل زرعت في نفسه الإحساس بضيق ذات اليد ؟؟ انظري ماذا فعلت !! لمّا غلبها الجوع ، وبدأت آثاره ترتسم على وجهها دهش الإمام علي لهذا التغيير وبادرها سائلاً : ما بك يا فاطمة ؟؟ قالت : منذ ثلاث لا نجد شيئاً في البيت ، فقال لها : ولماذا لم تخبريني ، فأجابته : ليلة الزفاف قال لي أبي رسول الله ﷺ : « **يا فاطمة إذا جاءك علي بشيءٍ فكليه وإلاّ فلا تسأليه** » .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ يصف خير النساء : « **خير نسائكم الطيبة الرائحة ، الطيبة الطعام ، التي إن أنفقت أنفقت قصداً ، وإن أمسكت أمسكت قصداً ، فتلك من عمّال الله وعامل الله لا يخيب**» .(٢)

---

(١) سبق تخريجه ص١٢ .

(٢) بهجة المجالس : ٣ / ٣٣ .

الاحترام بين الزوجين

قد يحلو لبعض النساء أن تتفاخر بين صويحباتها بأنها امــرأة مدللــة وأن زوجها من شدة محبتها يصعد دوماً إلى السماء لينظم لها عقــوداً مــن النجــوم المتلألئة ، وقد تشتط في مبالغاتها ، فتتعدى عليه وتنعته بصفات لا تليق بمكانته المرموقة في المجتمع ، أو لا تليق حتى بكونه زوجاً .

وقد يحلو لها أن تثبت لقريناتها بالدليل المادي القــاطع أن زوجــها خــاتم سحري في إصبعهــا تحركه في أي اتجــاه ، فتصرخ في وجهه أمامــهن ، أو تخالفه الرأي بحدة ، أو تحط من قيمة اقتراحــاته ، فلا يستطيع أن يتخذ قــراراً ولو بسيطاً إلاَّ بمشورتها مما يجعله أضحوكة يتندر به الوجيه والوضيع ، وقــد يحدث هــذا كلــه أمام الأبنــاء مما يجعلهم يستخفون بوالــدهم ، ويستصغرون شأنه ، فتسقط هيبته من نفوس صغاره ، فالمشورة والرأي القــاطع كلــه بيــد والدتهم ، فلا أهمية إذاً لهذا الوالد المغلوب على أمره .

أين حــواء هـذه من قول امــرأة سعيد بن المسيب **حيث قــالت :** (ما كنَّا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم : أصلحك الله ، عافاك الله)[(١)] .

وقد تلغي حــواء دور الأب التربوي ، فهي التي توجــه الأطفــال علــى حسب مزاجها ، وإذا راجعهــا ذلك المسكين في أمر سلوكي خــاطئ رآه فــي أبنائه ، فإنها ترميه بالجهل ، وعدم المعرفة ، وقد تتركه يتصرف مع أبنائه ، ثم تتصرف هي معهم بشكل عكسي مغاير مما يهز صورته في النفوس .

حتى متابعة الأبنــاء الذكور في المدارس قد سحبتها من سلطته ، وأصبحت هي

---

(١) أحكام النساء : ٣١١ .

التي تتصل بالمدرس والمدير ، وأصبحت الخطابات المدرسية توجه باسمها لا باسم الأب !!

وأنا لا أعني بكلامي هذا إلغاء دور الأم ، فبإمكانها أن تتابع أبناءها الذكور إذا اضطرتها الظروف مثل سفر الأب المفاجئ ، أو مرضه أو انشغاله لفترة معينة ، أما أن تكون هي الحاكمة المتصرفة في كل الأزمان والظروف ، فهذا انقلاب للموازيين الأسرية له خطره الأكيد على سير الحياة .

حواء وذوق آدم

أخذ ينهب الأرض نهباً ، ويقطع الطريق الموصل إلى داره بسرعة غير عادية .

ابتسامة حانية ترتسم على شفتيه ، وسعادة النصر تلون وجهه ، فقد مرّ بضائقة مالية عظيمة قلبت حياته رأساً على عقب .

وأخذ يتذكر تلك الابتسامة الذابلة على مبسم زوجه ، كم كانت تبعث في نفسه الأسى وتشعره بالعجز والضعف .

ولكن فرج الله كان قريباً ، فاليوم قد ربح المناقصة ، وحصل على مبلغ من المال كبير ، وأول شيء قام به هو العزم على إعادة البسمة الهانئة على وجه زوجه ، ليشعر برجولته وقوته ، لذا وقف أمام أفخر محل للمجوهرات ، وابتاع أسوره من الألماس الخالص ، ووقف مرة أخرى عند أفخر محل للملابس النسائية الجاهزة واختار فستاناً باهظ الثمن ، ثم ركب سيارته ليطير إلى زوجه وأخذ يتخيل شعاع السعادة ، وهو ينير ذلك الوجه الصبوح ، وطفق يحلم بالكلمات المعسولة التي سوف تسكبها في أذنه ، والتي حرم منها مدة خلو يده .

وصل إلى داره وهو في نشوة عارمة ، وسعادة بالغة ، وأخذ ينادي على زوجه بصوت المنتصر ، وما أن لبت النداء حتى وضع بين يديها بحركة شاعرية تلك الهدايا الثمينة ، ووقف خافق القلب ينتظر الابتسامة الراحلة .

وطال انتظاره حتى الابتسامة الذابلة قد اختفت ، وبدا الامتعاض يكسو وجه زوجه ، وأخذت علامات الاشمئزاز ترتسم على كل ملامحها ، وبعدم مبالاة **قالت الزوجة** : ما هذا الذوق البلدي ؟!! فستان لونه أحمر ؟!! أتراني في حلبة

مصارعة ؟!!! من أي سوق ابتعتــه ؟!! وما هذه الأسورة الغليظــة ؟!! فــي أي طريق وجدتها ؟!! وما أن طرقت هذه الكلمات أذنيه حتى أحس بـــألم يصمـــها وبوخز يمزق قلبـــه ، وشعر ببرودة في أطرافه ، واســـود وجهـــه واكفـــهر ، وأخذت الدنيا تدور في عينيه ، وكاد يسقط أرضاً لولا أن تداركته نفحـــة مـــن الشجاعة والكرامـــة أقـــامت عوده ، وأسرع يجمع تلـــك الهـــدايا ، ويدلـــف مسرعاً إلى غرفتـــه ، وقد امتلأ قلبه حزناً وكمداً ، وشعر بنفور غريب يســـكن فؤاده ، وحلت الوحشة مكان الألفة ، والقلق مكان الطمأنينة ، والقســـوة مكـــان الرحمة .

هــذا المسلك نجــده كثيراً عند **حــواء** !! فقد يحضر لها زوجها هاشـــاً باشاً هدية قيمّة ، ولكنها لا تناسب ذوقها فتصدر منها كلمات ازدراء وانتقـــاص لذوق آدم ، أو ترتسم على وجهها علامات السخرية والتهكم من غـــير مراعـــاة لشعور ذلك الزوج الذي كلّف نفسه الوقوف أمام واجهات المحال ، وأنفق وقتـــاً ليس بالقصير في اختيار الهدايا ، فمن باب اللطـــافة والذوق أن تفرح **حــواء** بكل ما يأتي به زوجهـــا حتى ولو كان منافياً لذوقها ، وعليها أن تشكره بعمـــق على شعوره الطيب ، فقد قال ﷺ : « **لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجـــها وهي لا تستغني عنه** »(١).

ومن الحكمـــة أن تتزين له بكل ما يحضره لها من هـــدايا ما دام أنها تناســـب ذوقه وترضيه ، حتى يتشجع ويغدق عليها الهدايا بعد ذلك .

---

(١) أخرجه النسائي في " عشرة النساء " من السنن الكبرى : ١ / ٨٤ / ١ ، وأخرجه أبو سعيد الشاسي عيسى ابن سالم في حديثٍ بإسناد صحيح ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٨٩) .

حواء والتخلي عن أنوثتها

إني لأتعجب من **حواء** التي تتصدر المجالس ، وتتغنى في طرب ، وبصوت متغنج متكسر بأنها لا تفقه شيئاً في الطبخ ، فرائحة البيض المحروق تفضحها عند الجيران ، أما مسك الإبرة فإن الدماء التي تسيل من إصبعها تمنعها من محاولة الإمساك بها مرة أخرى ، فإذا ما أرادت رتق ثوب لجأت إلى الخياط ، أو استجارت بالجارات ، أو استصرخت بالخادمات ، إنها تتفوه بهذه الكلمات ، وتقص هذه الحكايات ، والبسمة لا تفارقها ، بل الضحكة يسمع رنينها في آخر المجلس ، وهي تظن وتعتقد أن جهلها بهذه الأعمال مظهر من مظاهر الحضارة ، ودليل على الأبهة والجاه ، وأنها من بنات الذوات المرفهات !!! ولم تعلم أنها بحديثها هذا تتخلى عن أجمل صفات الأنوثة ، وتوصد باباً من أبواب الأجر ، لأن كل عمل تقوم به المرأة لخدمة بيتها وأطفالها ، وابتغت به وجه الله كان لها فيه أجر .

❋ **فهذه أم المؤمنين عائشة** ــ رضي الله عنها ــ تبين للنساء فضل العمل ، وعظم أجر المرأة التي تقوم بشؤون بيتها ، قالت رضي الله عنها : « **المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله** »(١)

ورأت أثر المغزل في يد امرأة ، فقالت لها : « **ابشري بمالك عند الله عزّ وجل لو رأيتم بعض ما أعد الله لكم معاشر النساء لما أقررتم ليلاً ولا نهاراً** »(٢).

❋ **وهذه ابنة أعظم مربي للبشرية** تحكي لوالدها النبي الكريم محمد ﷺ ما

(١) أعلام النساء : عمر رضا كحالة : ٣ / ١١٨ .

(٢) المرجع السابق : ٣ / ١١٩ .

تلاقيه من عناء وتعب ، وتطلب منه أن يعينها بخادمة ، فماذا كان موقفه ﷺ ؟؟

«**عن ابن أبي ليلى قال : حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحى ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته عائشة ، قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم ، فقال : " على مكانكما ، فجاء ، فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني ، فقال : ألا أدلكما على خير مما سألتما ، إذا أخذتما مضاجعكما ، أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم** » .[1]

❋ **وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق** تتزوج الزبير بن العوام ، وكان لا يملك من حطام الدنيا إلا فرسه ، وكانت تقوم ــ رضي الله عنها ــ بحمل النوى فوق رأسها ، وتعاون زوجها .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « **تزوجني الزبير ، وما له في الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته ، وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقي الماء ، وأخْرُزُ[2] غَرْبَه[3]، وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبز لي جارات لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، قالت : وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي**

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النفقات ، باب عمل المرأة في بيت زوجها : ٧ / ٨٤ ، اللفظ للبخاري ، وانظر كذلك : صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم : ٤ / ٢٠٩١ ، مسند الإمام أحمد : ١ / ١٠٧ ، سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء : ٢ / ١٢٥٩ .

(٢) أخرز : " الخرير " صوت الماء ويقال للماء جرى جرياً شديداً / اللسان " خرر " ٤ / ٢٣٤ ، أي أملأ ورواية البخاري " أَخْرِز " .

(٣) غرْبَه : الغَرْب الدلو الكبيرة والعظيمة التي تتخذ من جلد ثور / اللسان " غرب " : ١ / ٦٤٢ .

أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ ، قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ، ومعه نفر من أصحابه فدعاني ، ثم قال : إخ إخ ليحملني خلفه ، قالت : فاستحييت وعرفت غـيرتك ، فقـال : والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إلـيَّ أبو بكر بعد ذلك بخـادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني » [1] .

(١) صحيح مسلم ، كتاب السـلام ، باب جـواز إرداف المرأة الأجنبية إذ أعيت في الطريق : ٤ / ١٧١٧ ، اللفظ لمسلم ، وانظر كذلك : صحيح البخاري ، كتاب النكاح ــ باب الغيرة : ٧ / ٤٥ ، مسند الإمام أحمد ابن حنبل : ٦ / ٣٤٧ .

حواء الصامتة وحواء الثرثارة

تعتقد بعض النســاء أن الصمت خصلة حميدة ، وصفة تعلي مـــن شـأن المرأة ، وأخذن يطبقن تطبيقاً أعمى المثل القائل : " **إذا كان الكلام مـــن فضــة فالسكوت من ذهب** " .

فأغلقت الواحدة منهن فمها إغلاقاً محكماً ، وأصبحت كالآلة الصمـاء فـي بيتها .

يدخل الرجل المسكين إلى داره متعباً منهوكاً ، وهو يحلم بكلمة لطيفــة رقيقــة تمس شغاف قلبه ، فتمحو عنه كل أثر للتعب ، لكنه لا يجد أمامه إلا امرأة آليــة تضع له الطعام وهي صامتة ، وتأكل معه وهي صامتة لا يســمع إلا صريـر أسنانها وقت المضغ ، ثم تقوم لتغسل الأطباق ، وتنصرف إلى شــؤون البيـت الأخرى ، وإذا نطقت نطقت ببيان مسهب عن حاجات البيت ومتطلباته .

وهنــاك فريق من النســاء يعتـقدن أن كسب قلـب الرجـل وجذبـه واستمالته تكون بإطالة الحديث والإطناب في الروايات ، يدخل الرجل إلـى داره وكأنه داخل إلى وكالة أنباء عالمية تافهة ، فهي تستقبله ، وفي رأســها مليـون خبر ، وتبدأ في سرد أخبــار الأولاد ..الخادمة .. الجيران البقال .. الـهاتف .. الأصدقاء ، ولكثرة الأخبار وتزاحمها في رأسها نراها تقص الخبر ولا تكملـه ، بل تنتقل إلى خبر ثانٍ وثالث ، فتتداخل الأخبــار والقصـص وتتضـارب ، فيتعسر على المستمع المسكين أن يفهم خبراً واحداً وكل الذي يســتفيده صـداع مزمن يرتمي على إثره مريضاً ، فيستسلم للنوم هروباً من نوبة إخبارية جديدة ، وكلا الصورتين لها خطورة بالغة على الحياة الزوجية !!

فالصمـت التـام يبعـث الملل في النفس ، ويفتح هوة سحيقــة في قلب

الزوجين مما يهدد العلاقة بالتمزق والانفصال ، وكذلك الثرثرة تجعل الرجل يشعر بتفاهة زوجه واستصغارها ، وعدم تقديرها والثقة بكفاءتها .

ولكن على المرأة أن تكون واعية وذكية ، وتعرف الأوقات المناسبة وتختبر المواقف ، فهناك مواقف تحتاج إلى إيجاز في الكلام كأن يكون الرجل تعباً مرهقاً ، أو يكون منشغلاً بأمر مهم ، فعليها أن تقدر موقفه وتوجز له الحديث .

وهناك مواقف تحتاج إلى إطناب في الحديث إذا كان الزوج قد أخذ قسطاً من الراحة ، وعنده فضل وقت .

وعلى المرأة أن تختار حديثاً ذا مغزى تجذب زوجها للدخول في مناقشات مفيدة ، وأن تتبادل معه الآراء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

والمرأة الذكية هي التي تعرف طبيعة عمل زوجها ، وتتفهمه ، وعليها أن تشاركه في مشكلاته العلمية ، وأن تضع معه حلولاً مناسبة .

وعليها أيضاً أن تشارك زوجها في هواياته ، وتوسع ثقافتها في كل ما يحبه حتى يجد طعماً لحديثها .

فالصمت والثرثرة إن لم يستخدما في مواطنهما الحقيقة كانا سبباً في ترسب الجفاء في نفوس الزوجين .

حواء والمساومة

من الحقــائق التي لا تحتاج إلى جدل قدرة المرأة الفائقة علــــى اخــتراع الحيل وحبك المكايد حتى أصبحت رائدة فن الحيل ، فهي لا تعييها حجــة ، ولا تعجزها وسيلة .

ويبدو لي أنه ما دام قد حباها الله بهذه المقدرة ، فعليها أن تستخدم ذكاءهــا ومقدرتها هذه فيما فيه خيرها وصلاحها ، لا أن تباري الشيطان وتتسابق معــه في حبك المكــايد .

فبعض النساء يعميهن الغرور بهذه المقدرة ، فيستعملنها في غير موضــها ، فالواحدة منهن إن أرادت الحصول على أمر فإنها تنتهز أجمل اللحظات بعــد أن تكون قد أحكمت فيها وثاق الرجل بإغرائها ، وما أن تلحظ ضعفه أمامها حتــى تبدأ في مساومته ، وإملاء رغباتها عليه بطريقة أو بأخرى ، فـــإن رأت منــه صحوة ، وأنه بدأ يتفلت منها ، ولم يذعن لطلباتها نراهـــا تســتعين بالشــيطان الذي يسرع بمدها بخيله ورجله فتقع في المحرمات ، وتمنع زوجها حقـــاً مــن حقوقه .

وهنا أقـول لحـواء ...

لقد خانك ذكاؤك مرتين : المرة الأولى في مرحلة التخطيط ، والمرة الثانية فــي مرحلة التنفيذ ، فمن التخطيط الفاشل انتهازك لأجمل اللحظات ، وتحويلها إلــى لحظات مادية صرفة بطرحها في سوق المساومة .

وفي مرحلة التنفيذ حين استعنت بالشيطان واتبعته ، ونسيت أمـــر الله ، وأمــر رســوله ﷺ حين قال : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فأبت أن تجــيء**

لعنتها الملائكة حتى تصبح » [1].

وقال ﷺ : « **فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهي على قتب [2]لم تمنعه** » .[3]

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « **إذا باتت المرأة مهاجرة في فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع** » .[4]

فغرور المرأة أعماها عن ذكاء الرجل ومقدرته الفائقة في اكتشاف ألاعيبها ، فهو إن سايرها مرة أو اثنتين ، فإن كرامته لابد ثائرة ، وإذا ثارت فإنها ستكون مدمرة ؛ لأن ثورته تستند على حق شرعي ، فيبدأ الاشمئزاز يسكن نفسه ، والنفور يبيت في فؤاده ، فتهتز صورة **حواء** في نفسه حتى تفنى وتنعدم ، وينحل رباط الحياة بينهما .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح : ٣ / ٣٩ .

(٢) القتب : هو الرحل الذي يوضع على ظهر البعير أو الحمل ، اللسان " قتب " : ١ / ٦٦ ـ ٦٦١ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجه : ١ / ٣١٢ رقم ١٥٠٣ .

(٤) فتح الباري ـ كتاب النكاح : ٩ / ٢٩٤ .

حواء والعلاقات الزوجية

لقد ذكرت في الكتاب الخاص بآدم أن عليه التماس العــذر **لحــواء** فــي بداية تكوين هذه العلاقة ، لأن تربية الفتــاة وتنشئتها في مجتمعي تضع ســتراً منيعاً ومخيفاً أمام هذا الأمر مما يغرس الخوف والرعب في قلب الفتاة ، فينتــج عنه فيما بعد الجمود والتحفظ والرتابة .

وليس التمــاس العذر معناه أن المرأة تظل على ما هي عليه مــن جمــود دون محاولة التخــلص من أثر تلك التربية ، بل عليها مع معاونة زوجــها أن تســلك كل السبــل التي ترضي ، وتشبــع رغبــاته حتى تحصل له العفــة المطلوبة .

وكم من امرأة تفتخر أنها تتعامل مع زوجها ، و كأنها جندي مــرور ، أو ضابط شرطة ، وكأنها تريد أن تثبت عظم أدبها ، وجمال تربيتــها ، وتقصــد التعريض بالأخريات اللواتي يسلكن غير هذا المسلك .

ولقد سمعت من بعضهن وهي تقول في تعاظم أبله إنها لم تُسمع زوجها قط كلمة " **أحبك** " على مدار تسع سنوات عاشتها معه ، وهي غــير مســتعدة لأن تقولها له حتى يظل متوسلاً لها ، وما درت هذه المسكينة أنها تدفع بزوجها إلــى البحث عن هذه الكلمة إما عند زوجة أخرى وبطريــق شــرعي ، وإمــا أنــه سينحرف عن جادة الصواب ، وتكون هي السبب الذي دفعه إلى طريق الغواية .

ولقد قرأت مقالاً في إحدى المجلات بعنوان (أزواج يترددون على بيوت ســيئة السمعة)[1]، آلمني كثيراً ، وأثار في نفسي الحزن العميق على مجتمعاتنا اليوم .

---

(١) مجلة كل الناس : السنة الرابعة ١٨٦ ، الأربعاء ٢١ ديسمبر ٧ جمادي الآخرة ١٤١٣ هـ .

ولا أقصد من سرد بعض ما ورد فيه أن أعطي العذر للرجل ، أو الإباحة له أن يتصرف هذه التصرفات الشائنة ، ولكن أردت فقط أن أبين حجم هذه المشـــكلة ومدى خطورتها ، ووخامة نتائجها على الرجل والمرأة والأسرة والمجتمع .

﴿يقول (ن . م) مهندس عمره ٤٩ سنة﴾ :

عشت طول عمري أعمل في إحدى الدول العربية حتى أوفـــر لزوجتـــي وأولادي الأربعة الحياة الرغدة السعيدة ، وأحضر إلى وطني شهراً واحداً فـــي السنة ، وعشت على هذه الحال أكثر من عشرين سنة حتى تخرج أولادي مـــن مراحل التعليم ، وفجأة وجدت نفسي مثل الطاحونة التي لا تتوقف عـــن توفـــير الفلوس ، كل خطابات زوجتي لي عن مشكلات الأولاد ، والهم والغم والغـــلاء وكثرة المصاريف وطوال عشرين سنة لم تكتب لي زوجتي كلمة حب واحدة .

ويضيف قائـــلاً : شعرت أن عمري ضاع في الغربة ، وأنني مثل الثور الـــذي يدور في الساقية .. أين حياتي ؟؟ أين عمـــري ؟؟ أيـــن ســـعادتي ؟؟ الجـــانب العاطفي مهمل تماماً ... يا ناس أنا لم أعش حياتي ـــ فين الكلمة الحلوة ... فين الدلع ... فين المجاملة ... فين الحـــب ؟!!

بالصـــدفة .. وفي أحد البنوك قابلت امرأة شقراء جميلة نحيفة قـــالت لـــي تسمح توصلني ، وبدون تردد وصلتها في شقة في الزمالك بعد رحلة قصـــيرة كثرت فيها إشارات المـــرور قالت : يا عيني يا روحي يا قلبـــي أنـــت تعبـــت تفضل اشرب كوب شاي ووجدت نفسي معها بدون ميعاد سابق .

في البـــداية لم أشك أنها من هذا النوع ولكني وقعت في هواها بعـــد ربـــع ساعة بالضبط ، تورطت في عـــلاقة معها ، وبعد ذلك تراجعت بعد أن اكتشفت حقيقتها ، ندمت على ما فعلت ولكنها قصة حدثت في حياتي .

﴿ وذكر آخر بأن سبب ذهابه إلى " بيوت سيئة السمعة " ﴾ :

إن الزوجة تحرص على العفة والتمنع في تأدية الواجب الجنسي بمنتهى الوقار والاحترام ، والزوجة تأخذ كل شيء ، ولا تعطي إلا القليل أما أولئك النسوة فإنهن يمتلكن سيكولوجية الرجل ، ويأخذن القليل ، ويعطين الكثير .

ويصرح طبيب نساء مشهور ــ تزوج أكثر من مرة ، وعندما فشل أدمن بنات الليل ــ بأنه لم تعد هناك زوجات ، فالزوجة تريد عقداً مكتوباً يضمن لها المستقبل مادياً وتظل طوال عمرها تحلب الرجل دون أن تسقيه ماء الحياة .

ويذكر أسباب هروبه من زوجه قائلاً : كنت أعود من المستشفى بعد يوم عمل شاق لأجد زوجتي بقميص النوم ، شعرها منكوش ، رائحة البصل والثوم تفوح منها تضع الطعام على المائدة كواجب ، تتحدث معي في مشكلات الفلوس وعندما يأتي الليل أعود من عيادتي كي أجدها نائمة بنفس القميص !!

الزوجة عندما تضمن زوجها لا تعيره أي اهتمام تعامله كبنك ممول فقط ، تتجاهل احتياجاته العاطفية والجنسية ، وصدقيني الرجل الذي يعيش حياة جنسية ناجحة ينجح في حياته ، في عمله ، وعلاقاته بأسرته وبالآخرين .

هناك أسرق من الزمن وقتاً لا أجده مع سواها ، امرأة كل ما يهمها أن تكون أنثى تقدم نفسها لرجل محروم من مباهج المرأة !!

هذه هي المصيبة ، فالزوجة لا تفهم حتى الآن معنى الحلال ، الحلال الحق أن تحرص على مشاعر زوجها كرجل أن تعطيه جسدها بفن وحب وعشق وليس مجرد واجب في الفراش .

أخيراً : أعتقد أنك قد فهمت لماذا أذهب إلى هناك !!

قطعاً إن الذهاب إلى مثل هذه الدور دليل على ضعف الإيمان ، وانعدام الوازع

الديني عند الرجل ، ولكن الشاهد في الموضوع ، هو دراسة الأسبـــــاب التـــي دفعت بالرجل إلى السقوط في مثل هذا الجرم ، فالمرأة التي تدفع زوجها إلـــــى سلوك مثل هذا الطريق بسوء تصرفها ، فهي شريكة له في الذنب .

والمقطع الأخـــير من كلام الطبيب الذي يطالب فيه المـــرأة بتطبيـــق الحـــلال والحرام قد صدق القول فيه ، وهو غني عن أي تعليق .

لا حياء في الدين

رحم الله نساء الأنصار ، فقد دفعتهن قوة إيمانهن للسؤال عن دقائق الأمور الخاصة بالمرأة لما يترتب عليها من أحكام شرعية .

فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت : « **نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقهن فيه** »(١).

واقتداءً بنساء الأنصار وانطلاقاً من مبدئهن " **لا حياء في الدين** " ، فإنني أحب أن أصارح **حواء** ببعض الأمور الدقيقة ، والتي يشتكي منها كثير من الأزواج ، فقد تعتني **حواء** بمظهرها الخارجي ، وتتأنق عند دخولها وخروجها ، وتضع المساحيق ، وتتعطر بأفخر العطور ، ولكنها قد تهمل النظافة الداخلية إمَّا جهلاً ، أو تكاسلاً ، وهذا الإهمال يؤدي إلى نفور الزوج وتقززه ، وبالتالي يبدأ الملل والسأم يتسرب إلى نفسه وتجد المشكلات أرضاً خصبة تنمو فيها .

ومن عظمة الإسلام وسموه أنه اهتم بكل أمر المسلم صغيره وكبيره ، وتناول جميع جوانب الحياة ، فقد أدرك بعظمته النتائج النفسية الوخيمة التي تنتج عن عدم النظافة الداخلية ، لذا أمر الإسلام المرأة والرجل على حد سواء بالنظافة الفطرية ، فقال ﷺ : « **عشرة من الفطرة : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وإنتقاص الماء ، قال زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون**

---

(١) سنن أبي داود ــ كتاب الطهارة ــ باب الاغتسال من الحيض : ١/٨٥ .

المضمضة » [1].

كما أمر الإسلام المرأة إذا انتهت من أيام حيضها أن تضع المسك في موضع الحيض لما يتركه من رائحة نفاذة تنفر الرجل من الاقتراب من زوجه ، ومن ذلك ما روته السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ أنَّ امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأراها كيف تغتسل قال : « **خذي فِرصَة من مِسك فتطهري بها ، قالت كيف أتطهر بها ، قالت : كيف ، قال : سبحان الله تطهري فاجتذبها إليَّ فقلت تتبعي بها أثر الدم** » [2].

وحفاظاً على رابطة المحبة والألفة بين الزوجين أمر الإسلام الرجل المسافر ألا يدخل على أهله من غير إعلامهم ، فعن جابرﷺ قال : « **كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طُرُوقاً** [3] » [4].

وعنه أيضاً قال : « **كنَّا مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل ، فقال : أمهلوا حتى ندخل ليلاً ــ أي عشاء ــ كي تمتشط الشعثة [5] وتستحد المغيبة** [6] » [7].

قال الإمام الشوكاني في شرح الحديث : " والحكمة في النهي عن الطروق أن المسافر ربما يجد أهله مع الطروق ، وعدم شعورهم بالقدوم على غير أهبة من

---

(١) رواه مسلم ــ خصال الفطرة : ٢/١/١٤٧ .

(٢) صحيح البخاري ــ كتاب الحيض ــ باب المرأة دليل نفسها : ١/٨٥ ــ ٨٦ .

(٣) الطروق : بضم أوله المجيء ليلا ، قال الزهري : الطروق بعد العشاء وقال أبو داود : وبعد المغرب لا بأس به ، سنن أبي داود ــ باب في الطروق ــ : ٣/٩٠ .

(٤) صحيح البخاري ــ باب لا يطرق أهله ليلا إذا أطال الغيبة مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم : ٣/٥٠ .

(٥) الشعثة : المغبرة الرأس ، المنتفة الشعر ، اللسان " شعث : ٢/١٦٠ .

(٦) المغيبة : التي غاب عنها زوجها .

(٧) صحيح البخاري ــ باب طلب الولد ــ ٣/٥٠ ــ ٥١ .

التنظيف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما ".[١]

فعلى المرأة الواعية أن تثقف نفسها في مثل هذه الأمور ، وتقرأ المجلات الطبية ، وتستشير الطبيبات الموثوق بهن إذا عرض لها عارض ، وعليها ألا تلجأ إلى المعالجة الوقتية مثل استعمال الكريمات والعطور بل عليها أن تركز على النظافة الداخلية أولاً ، وتهتم بالأساس وبعد ذلك لها أن تتزين وتتعطر كيف شاءت .

وقد كان العطر الحقيقي للمرأة ، وما يزال ــ الماء والكحل ــ **فقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته ، فقال** : " إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإياك وكثرة العتب ، فإنه يورث البغضاء ، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة ، وأطيب الطيب الماء "[٢] ولما حمل الفرافصة بن الأحوص ابنته نائلة إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ وقد تزوجها ، نصحها أبوها بقوله : " يا بنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هنَّ أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عنّي خصلتين : تكحلي وتطيبي بالماء حتى يكون ريحك ريح شن[٣] أصابه مطر ".[٤]

ومما أوصى به محمد بن عبد الله بن حسين ابنته قال : واعلما أن لن تسقط امرأة واظبت على ثلاث خلال : " الماء ، والسواك ، والكحل فعليكما بهن ".[٥]

---

(١) نيل الأوطار : ٣٦٧/٦ .

(٢) نيل الأوطار : ٣٦٧/٦ .

(٣) الشن : القربة .

(٤) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني : ٣٤٩/١٦ .

(٥) بهجة المجالس : ٣٠/٣ ــ ٣١ .

حواء وقطار الزواج

الـــزواج أولاً وأخيراً هو قدر الله ، وهو كما يقولون " **قسمة ونصيـــب** " ، ولكنـــه بمشيئة الله وإرادته .

ولكن هناك أسبـــاباً يجب أن يتخذها العبد ، ويترك الأمر لخالق الأسبـــاب .

والقضيـــة التي أريد أن أطرحها وأناقشها مع بنات جلدتي قضية تحتاج إلى نوع من الصراحة ، وإلى قدرٍ كافٍ من الواقعية .

فالشـــاب في بلدي ، ولظروف البلد الاجتماعية والاقتصادية نجـــده مـــهيأ للـــزواج المبكر ، فهو يتزوج في سن العشرين أو أقل من ذلك في كثـــير مـــن الأحيان إلى جانب انصراف الشبـــاب للـــزواج من الخارج مع تضييق الخنـــاق على الفتـــاة في هذا الأمـــر ، نتج عن ذلك جلوس الكثيرات في كنف عوائلـــهن مع تأخر سن الـــزواج ، ومع ذلك فإن طالبي الفتاة وإن قلَّوا ما زالوا يطرقـــون بابها بين الفينة والفينة ، ولكن مع اختلاف المقاييس التي كانت تحلم بها !!!

فماذا عساها أن تفعل حين تغيرت الموازين ؟!!

هل ترفضهم جرياً وراء أحلامها وخيالها ؟!!

أو تعي واقعها وتتنازل عن بعض أحلامها بما يتناسب مع شخصيتها ؟!!

وأقـــول تتنازل عن بعض أحلامها ولم أقل عن الحقائق التي تكفل لها العيـــش السعـــيد .

فالمتقدم في هذه السن إما أن يكون مطلقاً ، ومعه عدد من الأولاد ، وإمَّا أن يكون أرملاً ومعه أيضاً عدد من الأولاد ، وإما أن يكون رجلاً معدداً ، ولا أنكر مشيئـــة الله في أن يكون رجـــلاً بكراً خالياً من ذلك كلـــه ، فالرسول ﷺ تزوج

بالسيـــدة خديجـــة وكانت ثيباً وتكبره بخمس عشرة سنة ، ولكن أنا هنا أتحــدث عن واقعنا اليوم وعن الأعم الأغلب فيه .

فعلى حواء ..

أن تكون واقعيـــة ، وأن تختار من هؤلاء من هو كفء لـــها فـــي الديـــن والخلق ، ومن هو مناسب لوضعها الاجتماعي والفكري والثقــافي ، وأن تقترن به عن اقتناع تام لا تخفياً من نظرات المجتمع ، ولا هروباً من الألسنة الحداد . وهذا في رأي أفضل لها من سجن نفسها في قفص الأحلام السرابي .

ولكن حـــذار أن تأخذ الواحدة شخصاً لا تتوافق معه دينيـــــاً أو اجتماعيـــاً ، أو فكرياً من أجل إرضاء عيون المجتمع الساخطة .

فإن لم يقض الله لها بعد بذل كل المحاولات التي فـــي وســـعها وطاقتـــها ، فلترض بقضـــاء الله وقدره ولتكن من الصابرات ، وتحذر من إغواء الشـــيطان لها ، وإغرائها بتلمس طرق الغـــواية من أجـــل الحصول على زوج ، ولتحافظ على دينها وسمعتها حتى تكون من النســـاء العفيفات المذكورات في القـــرآن ، فيكفيهـــا شرفـــاً أن تكون ممن ذكـــرن في كتـــاب الله تحت قـــوله تعالى :

﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾[١] .

ولتصرف بعد ذلك طاقتها ووقتها بما يعود عليها وعلى مجتمعـــها وأمتـــها بالخير والمنفعة .

---

(١) سورة الأنبياء : ٨٢ .

حواء زوجة الأب

لقد تكفَّل أدب الأطفال بجميع أنواعه بتغذية روح الكراهة في نفس الطفل تجاه زوجة الأب ، فقصة السندرلا ، وقصة بيت السكر ، بل وكل القصص التي ترد فيها شخصية زوجة الأب صوَّرتها للطفل قاسية ظالمة متجبرة قد خلا قلبها من كل رحمة ، وهكذا ترسبت هذه الصورة في نفوس أطفال العالم أجمع جيلاً بعد جيل ، بل ترسبت في عقليات المجتمعات ، وهذا خطأ فادح يقع فيه كتَّاب أدب الطفل .

فالحياة الإنسانية على مر العصور تمر بها صور الخلافات بين الزوجين التي تنتهي بانفصالها ، أو يشاء الله رحيل الأم إلى الدار الآخرة ، فمن الطبيعي أن يبحث الرجل عن زوجة أخرى تعينه على تربية أولاده ، ولكن كثيراً ما يجد الرفض حليفه ، **فحواء** ترفض أن تكون زوجة أب خوفاً من كلام الناس ، فنجد بعضهن تشترط عليه إسكانهم في شقة منفصلة عنها ، ويجلب لهم خادمة تقوم بتربيتهم .

وكثيراً ما يضطر الرجل إلى قبول مثل هذه الشروط بعد أن يكون قد أضناه التعب ، و في رأيي أن على الرجل مهما لقي من الصعاب والمتاعب أن يظل يبحث عن امرأة تقبل به وبأولاده حتى يضمن سلامة نفسياتهم ، وعدم انحرافهم لا أن يفكر في متاعبه الشخصية ، ويحاول حلها بإيجاد زوجة له ، بل عليه أن يجد الزوجة والأم معاً .

وحواء التي ترفض الرجل الصالح صاحب الأولاد بحجة أنها لا تستطيع القيام بخدمتهم **أقول لها** : اتق الله فيهم واجعلي عملك هذا باب

خير فتحه الله لك لتحصلي منه على أرفع الدرجات ، و أعظم الحسنات قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير ﴾ .(١)

وامسحي من رأسك تلك الصورة المشوهة لزوجة الأب ، واثبتي للجميع أن المرأة التي تخاف الله وتتقيه ، وترجو الثواب منه هو لا من أحد غيره تستطيع أن تنشئ للمجتمع أبناء صالحين لم تلدهم هي .

وعلى المرأة أن تضع نفسها في نفس الظرف ، وتتخيل نفسها في نفس الموقف هب أنها تزوجت وأنجبت ، ثم لم يوفق الله بينها ، وبين زوجها ، أو أنها توفيت ، فأين يذهب أطفالها من سيعيلهم ؟؟ من سيربيهم ؟؟ أليست هي امرأة أخرى ؟؟ قال تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً** ﴾ (٣)

وقد أخبرنا المصطفى ﷺ عن رجل غفر الله له لإحسانه لكلب عطِش ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها ، فشرب ، ثم خرج ، فإذا الكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم لأجراً ، قال : في كل ذات كبد رطبة أجر** ».(٤)

(١) سورة البقرة : ٢٢٠ . (٢) سورة البقرة : ١١٠ . (٣) سورة آل عمران : ٣٠ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب في المظالم والغضب ، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذَّ بها : ١٧٣/٣ (اللفظ للبخاري) انظر كذلك : سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم :٣/ ٥٠ــ٥١ ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء :١٢١٥/٢.

فما أعظم الأجر إن كانت هذه الكبد هي كبد طفل إنساني ، وعلى المـــرأة التي طلقت وتركت أبناءها للزوج أن تكون أماً واعية تعمل على صهر أبنائـــها في حياتهم الجديدة ، وتفهمهم أن ما جرى هو بتقدير الله ، وتحاول تحبيبهم فـــي زوجة أبيهم ، وأنها بمثـــابة أمهم الثـــانية ، وعليهم طاعتها ومحبتها ، وعليـــها أن تتصل بالزوجة الجديدة ، وتربط معها نوعاً من الصداقة ، وتعـــرف منـــها النقاط المزعجة في أطفالها حتى تستطيع توجيههم ، فبذلك تكون قـــد أراحـــت زوجة الأب من مشكلة تعنت الطفل ورد فعله العكسي تجاهها .

كما تحاول زوجة الأب أن تراعي نفسية الأطفـــال ، وأن تقـــدر موقفـــهم وبعدهم عن والدتهم ، وغرابة الموقف بالنسبة لهم ، فلتكن حكيمة صبورة ودودة حتى تستطيع أن تكسبهم إلى جانبها ، وتزرع محبتها في نفوسهم .

والأب له دور كبير في نجـــاح حياته الثانية ، فعليه أن لا يقحم أنفـــه فـــي كل أسلوب تربوي تتبعه زوجتـــه الثانية إذا ثبت لـــه وعيـــها ، ومراقبتـــها لله وخوفها منه .

وعليه ألا يشعرها بأنها ليست أمهم الحقيقية ، بل يتفاهم معها علـــى الأسـلوب الصحيح ، والطريقة السليمة في التربية حتى يستطيع الجميع أن يسير في الحياة الجديدة برضاء ومحبة .

❋ **وإنّي لأذكر قصة فتاة مع زوجة أبيها هي قمة في الوفاء والإخلاص** ، فقـــد انفصل والدا الفتاة منذ صغرها ، فتربت في أحضان زوجة أبٍ حنـــون تخـــاف الله وتخشاه ، وفي رعاية أب كثير العيال قليل المال ، ومضت السنوات وتوفـــي الأب بعد أن بلغت الابنة أعلى مدارج العلم ، وحصلت على مكانـــة اجتماعيـــة مرموقة ، فاتصلت بها والدتها الغنية تغريها بترك حياة الفقر ، وأن تعود لتعيش

في كنف العز والرفاهية ، ولكن كان جواب الابنة جواب الوفي الذي لا ينسـى معروفاً ، فاعتذرت لأمها بلطف وأخبرتها أن أمها بالتربية وإخوانها من أبيها في أمس الحاجة إليها ، وهي تريد أن ترجع للمرأة جزءاً ضئيلاً من تضحياتها .

فسبحان الله لعل الخير يتجسد في أبناء الزوج أكثر من أبنائها ، ويكونون لها سنداً بعد الله سبحانه وتعالى .

أما إذا كان الأطفال ممن حرموا عطف وحنان الأمومة بمشيئة الله ، فهؤلاء أجرهم أعظم ، وثوابهم أكبر .

صحيح أن اليتيم في الحكم الشرعي هو الذي يترتب عليه أحكام قضائية ، وهو من فقد أباه قبل سن الرشد ، ولكن هذا لا يمنع من عد الطفل الذي فقد أمه يتيماً في الحكم الاجتماعي والإنساني والعاطفي .

ولا شك أن الأجر من تحسن إلى هؤلاء ، وتعطف عليهم ابتغاء وجه الله أجر عظيم وثواب وفير .

والمرأة الواعية التي تخاف الله ستظل معاملتها ثابتة لأبناء زوجها لا تتغير أبداً ، وإن أنجبت هي أطفالاً ، لأن مبدأها هو العمل الخالص لوجه الله تعالى .

حـواء والزوجة الثانية

تــزوج عليها زوجها دون أن يعلمها ، ودون أن تكـــون هنـــاك أســباب واضحة لهذا الزواج !!

كانت نِعْمَ الزوجة المطيعة الحنون ، والأم الرؤوم ، تزوج عليها بعد زواج دام خمس عشرة سنة ، وبعد أن أنجبت منه خمسة أطفال ، صدمت للخبر ، شَلَّ عقلها عن التفكير ، لم تعد تعرف كيف تتصرف ، علم الأهــــل والصديقـات بالخبر ، فأسرعن بكل شهامة ووفاء لمد يد العــون لــها ، وإســداء النصـــح ، ومواساتها في مصيبتها ، الكل أخذ يحثها على أن تثــأر لكرامتها ، وأن ترمــي له الأولاد ، وتعود إلى بيت أهلها كما جاءت منه .

لِمَ يتمتع هو بحياته وشبابه وتظل هيَ تأكل الحصرم ، وتفني شــبابها فـــي خدمة أبنائه ، إنها ما تزال شابة في الثانية والثلاثين من عمرها جميلة ، مثقفة ، فهي تستطيع أن تتزوج مثله ، وتبني حياة جديدة مستقلــة ، جمعــت ملابســها وكل حاجياتهــا ، وهمت بالخروج ، ولكن أوقفها صوت ابنتها الصغرى وهـــي تنادي مــاما .. مــاما أحضري لي معك حلوى حين قدومك ولا تتأخري أريــد أن أراك قبل أن أنام .

وقفت تتأمل ابنتهـــا وهي تبتسم في براءة ، وتقذف لها بالقبلات الحـــارة ، ثم أخذت تجري وارتمت في أحضانها ، رفعت وجه ابنتها إليها تتأمله ، وأخذت عواطف الأمومة تتدافع إلى قلبها الذي انطفأ في لحظة تهور وغضب .

مـــا ذنب هذه الطفلة المسكينة ؟! ومـــا ذنب إخوانها الآخرين ؟! لمن تتركهم ؟! إلى الأيام تضرسهم !! إلى الأحزان تمزقهم !!

أطل زوجها من غرفته .. التقت نظراتهما ، تذكرت أنه لم يكن سيئاً معها ،

ففيه كثير من الخصال الحميدة التي قلما تجتمع في رجال اليوم ، فهو فوق ذلك كله يخاف الله ويخشاه ، إذاً لن يهضمها حقها ، فما المانع في أن تعيش مع أولادها تحت سقف واحد تغدق عليهم من فيض حبها وحنانها ، فينشأون أسوياء يستفيد منهم دينهم ومجتمعهم ؟!!

لمَ لا تكيف نفسها مع الوضع الجديد؟!! من أجل دينها الذي يطالب بإكثار أمة محمد .. من أجل بسمة أولادها .. ومن أجل نفسياتهم .. ومن أجل نفسها التي بنت قيماً ومبادئ في نفوس بشرية لمدة خمس عشرة سنة .

لمَ لا تواصل المسير بثقة وصبر ؟!! لتدحر عيون الشامتين والشامتات .. وهبي أن الزوج لم يكن عادلاً ولا منصفاً .. وقد أضاع كثيراً من حقوقها بما يفتيه لنفسه وبالمخارج التي يجدها لهواه معتمداً على أحاديث ضعيفة .. وأقوال واهية .. ليبرر موقفه وتقصيره .

فما عسى حواء فاعلة ؟! وأي نهج سالكة ؟!

انهجي نهج الصابرات المحتسبات للأجر ، واعلمي أن هذه الدنيا دار امتحان وبلاء ، وأنه لابد لك من أن تضحي ، لأن طبع المرأة الوفاء والتضحية وإنكار الذات .

أما سلوك زوجك غير العادل ، فلا تنزعجي له ، لأن هناك عيناً لا تغفل ولا تنام ترقب أحوال العباد ، وتجازي كل مخلوق على عمله ، فإن ضاعت لك حقوق في الدنيا فهي محفوظة لك في الآخرة .

وللأسف يخطئ كثير من النساء التصرف إذا ما تزوج عليهن أزواجهن ، فيثرن ثورة وهمية يشعلها الشيطان الذي يتفانى في التفريق بين الزوجين قال ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه**

منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت ، قال الأعمش : أراه قال : فيلتزمه»[1] .

إذاً .. هم الشيطان الأول والأخير تفكيك الأسرة المسلمة ليتفكك المجتمع ويضيع الدين .

ولكم أعجبتني تلك الأخت التي علمت بزواج زوجها ، فعالجت الموضوع بكل صبر وهدوء ، ولم تدع فرصة لأي متطفل أن يقتحم أنفه في حياتها ، ولم تسمح لأي عين فضولية أن تلج إلى جنتها ، ولم تشعر أطفالها بأي تغيير غير طبيعي في حياتهم حتى لا تتكدر نفوسهم .

فإذا ما سألها لسان ثرثار عن وضعها مع زوجها حمدت الله ، وذكرت للجميع أنها قد تفاهمت مع زوجها على كل أمر ، وهي على أتم وفاق معه ، وبهذا الجواب أخرست كل الألسن ، وأغمضت كل العيون .

---

(١) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ــ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً : ٤ / ٢١٦٧ وانظر كذلك : مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣ / ٣١٤ .

الغيرة الحمقاء

الغيرة في الحياة الزوجية أمر مطلوب من كلا الطرفين ، فهي دليـل علـى الحب ، وتعلق كلا الطرفين بالآخـر ، فهي تشعر الطرف الآخر بمكانته ورفيـع قدره مما يثري العلاقة الزوجية وينميها ، ويحررها من قيود الجمود والرتابـة ، فهي عنصر تجديد يضفي نوعاً من الحيوية على الحياة .

هذا إذا كانت الغيرة تسير في مسارها الطبيعي ، أما إذا تعدته إلـى تكبيـل الطرف الآخر بالقيود ، والحد من التصرفات الشخصية ، والسـؤال عـن كـل كبيرة وصغيرة ، وأخيراً الوصول إلى مرحلة الشك هذه المرحلة المَرَضِيَّة التـي تدفع صاحبها إلى تتبع العورات ، فيتحرك الخيال المريـض ، ويمـد صاحبـه بصور وهمية ليس لها أساس في الواقع ، لذا نهى الرسول ﷺ المسـلم إذا كـان مسافراً ألاَّ يدخل على أهله إلا بعد أن يستأذنهم حتى لا يستغل الشيطان الغـيرة استغلالاً سيئاً فعن عبد الله بن عمر: ((**أن رسول الله ﷺ نزل العقيـق ، فنـهى عن طروق النساء الليلة التي يأتي فيها فعصاه فتيان فكلاهما رأى ما يكره**)) .[1]

وقـال أحد الشعراء مصوراً الغيرة وأبعادها :

ما أحسن الغيرة في حينهـا ... وأقبح الغـيرة في كُلِّ حينِ

من لم يزل مُتَّهمـاً عِرْسَـه ... مُتَّتبعاً فيها لِرَجْمِ الظنـونِ

أوشك أن يُغريهـا بالـذي ... يخاف أو ينصبها للعيـونِ

حسبك من تحصينها ضمُّهـا ... منك إلى عِرْض نقي ودينِ

لا تطلّع منـك على ريبـة ... فيتبع المقرون حبل القرينِ

(١) رواه أحمد ، مسند عبد الله بن عمر : ١٠٤/٢ .

وكثيراً ما تقع **حـواء** نتيجة عاطفتها الفياضة في شباك مرض الغـــيرة ، فما أن تتبس شفاه آدم باسم امرأة عفواً ، أو في موضوع عارض حتـــى يصـــور لها خيالها المريض أن هناك علاقة قائمة بين صاحبة الاسم ، وبيـــن زوجـــها ، وتبدأ في تصيد حركاته وسكنـــاته ، ويبدأ القلـــق النفســـي والـــهاجس الفكـــري يسيطران على تصرفاتها ، وتبدأ في التحقيقات الرسمية ، والاتهامات الصريحـــة لزوجها وعفتـــه .

وأمام هذه الغيرة العميـــاء يشعر آدم بأنه ســـجين محـــاصر ، فيحـــاول أن يحرر نفسه بالهروب من هذا الجحيم ، وبذا تكون **حـواء** قد هدمـــت بيتـــها ، وحرمت نفسها من السعادة التي كانت تصبو إليها .

وصدق المثل العربي القـــائل : " غيرة المرأة مفتاح طلاقها " .

ويصور لنا المصطفى ﷺ المرأة الواقعة تحت سيطرة الغيرة فيقـــول : « **ومـــا تدري الغيراء أعلى الوادي من أسفله**».[(١)]

وتعتقد المـــرأة التي تصيد خطوات زوجها أن الفضل في هذه الغيرة يعـــود إلى ذكـــائها ، وما درت المسكينة أن ذكـــاءها هو أول من يفر منها إذا اشـــتدت غيرتهـــا .

وفي هذا المعنى قـــال بونسليه : " الغيرة إنها تلك الصخرة التي يتحطم عندهـــا ذكاء المرأة " .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق بنحوه كما في كنزل العمال . (١٣٥٠٨) .

كيف تكسبين حماتك؟؟

إن قصص الحموات مع زوجات الأولاد قــد مــلأت صفحــات الجرائــد والمجلات ، وملأت شاشات الفيديو والتلفاز ، وكان الهـدف منـها هـو إثــارة الضحك ، وإشاعة روح الفكــاهة بين الناس عن طريق المقالب التي تخترعـــها الحماة لزوجة ابنهـــا .

ولم يقصر الأدباء والفلاسفة في مختلف البلدان وعلى مر العصور فــي تشــويه صورة الحمـــاة ، وسموها حكمة ، وماهي في الحقيقة إلا أقوال لم تحتكــم فــي شيء إلى المنظور الإسلامي .

ومن ذلك قــول أنيس منصور : " الصحـــافة مهمتها البحـــث عــن المتــاعب وكذلك حمـــاتك " .

وقـــال مصطفى محمود : " الحمـــاة أقدم جهاز مخابرات في العالم " .

وقـــال شوبنهاور : " الحمـــاة هي العدوى الوحيدة التي يجلبها الزوج " .

وقـــال أحدهم : " السمك وحمـــاتك تظهر لهما رائحة بعد ثلاثة أيام " .

وهناك مثل إيطالي يقــول : " يستحيل على المرأة أن تعمل بنصيحة حماتها " .

ولا يتورع بعض الناصحين والناصحات من تلقين العـــروس **المثــل المصـــري القـــائل :** " الحمـــاة حميّ .. وأخت الزوج عقربٌ سمّ " .

وينسب بعضهم سبب ارتفاع نسبة الطلاق إلى الحمـــاة ، ومنهم من يحســـد آدم عليه السلام لأنه لم تكن له حماة ، **قال أحدهم :** " كان آدم أسعد الناس حظـــاً إذ لم تكن له حمـــاة " (١)

---

(١) قالوا في المرأة :٢ / ١٣٢ــ١٣٣ .

وبهذا كله انطبع في النفـوس مقت الحمـاة وكرهها ، فأصبحت العـروس لا تدخل بيت الزوجية إلا وهي تضع في ذهنها الطرق التي يجب أن تسلكها مـع حماتها حتى تتقي مكايدها ، وكأنها ستدخل حلبة مصارعة ، وتظل تترصد كـل كلمة تتفوه بها حمـاتها ، وتتصيد أي حركـة تقـوم بـها ، وتحبـك حـولها القصص والحكـايات التي ترويها على مسامع أمها أو صديقاتها ليساعدنها فـي الكيد لتلك الحمـاة .

ومن هنا تنسج خيوط الكراهية بينهن ، وتترسب البغضاء فـي النفـوس ، وتزرع الحزازات في الصدور ، وتحل القطيعة بين الأسرة بكاملـها ، وتكـون نتيجتها عقـوق الوالدين ، يتبع ذلك رحيل البركة والخير من البيت .

❋ رحم الله تلك المرأة العـابدة التي كانت تحت زوجها على طاعة أمه فتقـول له : " أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسـمت عليـك أن لا تدخل النار من أجلي ، بر أمَّك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك " .(١)

فإذا أرادت **حـواء** أن تقي زوجها حرَّ جهنم ، وتأخذ بيده إلـى دار الجنـان ، وتضمن لبيتها السعادة والبركة الدائمة فعليها :

◆◆ **أن تطرد من مخيلتهـا** تلك الصورة المشوهة للحمـاة ، وتضع في نفسـها أنَّ أم زوجها هي بمثابة أمها ، فإن أخطأت عليها يوماً فلتعاملها بمثل ما تعـامل به والدتها إن أخطأت في حقها .

◆◆ **وعليها ألاَّ تقص** على زوجها كل ما يقع بينها وبين أمـه وهـي تتبـاكى وتذرف الدمـع السخين ، حتى تستميل قلبـه إليها ، وتكسب ودَّه ، ويصور له

---

(١) صفة الصفوة : ٤/٤٣٧ .

الشيطان أمه ظالمة مستبدة ، فيزحف الجفاء إلى نفسه ، ويسير في طريق العقوق .

◆◆ **إن رأت حواء قصوراً** في معاملة زوجها لأمه ، فلتكن مرشد خير له ، فتحثه على طاعتها ، وأن تلح عليه في زيارتها والتودد إليها .

◆◆ **حواء الواعية** لا تتدخل فيما يقدمه زوجها لأمه وما يهبه لها ، بل تساعده على أن يكثر لها العطاء ، وتحاول هي أن تهديها هدايا قيمة وجميلة بين حين وآخر .

◆◆ **إذا ذهبت لزيارة حماتها** تحرص كل الحرص على أن تأخذ معها طبقاً شهياً ، وترفض أن تكون ضيفة ثقيلة يتبرم من حضورها مستقبلها .

◆◆ **حواء الذكية** هي التي تستطيع أن تأسر قلب حماتها بحسن معاملتها وظرف أخلاقها فإذا كان لدى حماتها مدعوون على الطعام تتفانى في مساعدتها لا أن تجلس وكأنها ضيفة الشرف !!

وهي تحرص دائماً على تعليم أولادها احترام حماتها وطاعتها ، وتغرس المحبة والودَّ لها في قلوبهم ، وتعودهم على زيارتها ولا تحرمها منهم : " فليس أغلى من الولد إلا ولد الولد " .

◆◆ **وهي التي تعلِّم أولادها** آداب زيارة الجدة وخاصة إذا كانت كبيرة السن ، فلا تدعهم يزعجونها بأصواتهم وحركاتهم ، وتعودهم على عدم إلقاء القاذورات وأوراق الحلوى على الأرض ، أو العبث بديكور المنزل ، بل لا تدعهم يخرجون من المنزل حتى ينظفوه ويرتبوه ، فبذلك تتمنى الحماة زيارتهم كل يوم وتلح عليهم في تكرارها .

◆◆ **إذا تزامن على الزوج** طلب **حواء** مع طلب حماتها ، فما عسى

حــواء فــاعلة ؟؟ هل تقلبين البيت إلى جحيم حتى يتحقق طلبك قبل طلبـها ؟؟ أم تقدمين طلبها على طلبك !!

إذا كنت حقــاً راجحة العقــل فقدمي قضاء حاجتها على حــاجتك راضيــة غير متذمرة ، وإياك وإشعال نار الغضب ورفع راية القطيعة بينك وبين زوجـك من أجل هذا التقــديم ، فإن حمــــــاتك إذا رأت منــك هــذا التنــازل ، وهــذا الاحــترام ، فإنها بلا شك ستتنازل عن أشياء كثيرة فيما بعد ، ويكفي أن قلبهـــا سيحمل لك كل تقدير وامتنان وستذكرك بكل أمر جميل أمام زوجك مما يعمـــق المحبة في نفسه ، ويسعى جاهداً إلى إرضائك وإذا ما حصل سوء تفاهم بينكمـــا فإن حمــاتك ستنصب نفسها محــام لك يدافع عنــك ويخمــد نــار الغضـــب المتــأججة في قلب زوجك ، فيعود لك وقد سكنت نفسه وهدأت روحه ، وحنــت نظراته .

فــالزوج يــا حــواء يشعر بتقدير لزوجه كلما وجدها قريبة من أمـــه وأهلــه محــبوبة لــديهم .

كيف تعدين أبناءك للزواج المبكر ؟؟

لقد دارت كثير من المناقشـــات ، وأدليت كثير مـــــن الآراء حــول الســـن المناسبة لــزواج الفتى والفتاة ، فمن قائل أن الــزواج في سن مبكـــــرة أفضـــل بكثير من الـــزواج في سن متأخرة وذلك لأسباب دينية ونفسية وصحية .
ومن قائل أن الـــزواج في سن متأخرة أفضل ، لأن نضوج الشخص عامل كبـير من عوامل الاستقرار الأسري .

ولكن يبدو لي أنّ السن ليست هي المقياس الصحيـــح للـــــزواج النـــاجح ، فهناك زيجـــات كثيرة ترفرف عليها أجنحة السعادة على الرغم من صغر ســـــن الزوجـــين ، وهناك زيجـــات أخرى أيضاً تظهر علها بشائر السعد على الرغـــم من أن الـــزواج تم متأخراً .
إذاً السعـــادة الزوجيـــة الحقـــة تكمن في نضوج الزوجـــيـــن دينيـــاً وعقليـــاً وجسمياً ونفسياً .

فإذا رام الوالدان تـــزويج أبنائهمـــا في سن مبكرة عليهما بتربيتـــهم تربيـــة تمكنهم من تحمل مسؤوليات هذه الحياة ، وتوجيههم إلى متطلباتها .
فالأم إذا أرادت تـــزويج ابنتها صغيرة السن عليها توجيه تفكـــير ابنتـــها منـــذ الصغر إلى الاهتمام بالبيت والأولاد ، فتحضر لها من ســـن الثالثـــة الدمـــى لا لمجرد أن تلهـــو بها ، بل لتعليمها كيف تعتني بالطفل ، وكيف تقـــوم بـــترتيب منزل الدمى وتنظيفه ، وعليها أن تكلفها بـــترتيب ســـريرها ، حتـــى إذا بلغـــت السادسة كلفتها بترتيب الغرفة وترتيب خزانة ملابسها ، وطلبت منها مســـاعدتها في أعمال المنزل الأخرى كتحضير مائدة الطعام وحمل الأطباق ، وهكذا تتدرج الأم في تحميل ابنتها المسؤوليـــة أكثر فأكثر كلما خطت قليلاً في الســـن ، ليتم

الارتباط والتآلف بين الفتاة وبين المنزل ، ولعل في الإجازات الأسبوعية والسنوية ما يكفل ممارسة هذا النشاط بجدية أكثر .

كما أن على الأم أن تعد ابنتها للحياة الزوجية وتقوم بإفهامها الحقائق والأسرار المتعلقة بهذه الحياة على حسب سنها وأول خطوة تكون قبل سن البلوغ ، فتفهمها كل ما يتعلق بالدورة الشهرية بطريقة علمية ، وتسهل لها الأمور وتخلع عن هذه المسألة رداء الرهبة وتظهرها على أنها أمر طبيعي يحدث لكل امرأة ، حتى إذا بلغت الفتاة ورأت دماء الطمث لا تصاب بالذهول والخوف والرعب ومن ثم الانطواء والخجل إلى غير ذلك من مردودات نفسية سيئة تؤثر على حياتها المستقبلية ، والأهم من ذلك أن هذا الأمر مرتبط بأمور تعبدية كالصلاة والصوم .

فإذا لم تكن الفتاة عرفت مسبقاً أحكام العبادة في هذه الفترة فإنها قد تفوت صلاة أو صياماً .

وينبغي على الأم ألا تعتمد في أمر توعية ابنتها في مثل هذه المسائل على الدروس التي تشرح لها في المدرسة فقط ، فقد يدور سؤال في ذهن الفتاة تتحرج من سؤال مدرستها عنه ، أو قد تكون المدرسة ذاتها خجولة فتطوي بعض المفاهيم .

ولكن الأم الصديقة تستطيع أن تبعث في نفس ابنتها الاطمئنان والثقة مما يدفعها إلى إلقاء السؤال تلو السؤال وخاصة إذا وجدت تفاهماً من الأم وإجابة تشبع ما بداخلها .

ومن الجهل المطبق أنَّ كثيراً من الأمهات يشعرن بالحرج الشديد إزاء تفهيم بناتهن هذا الأمر السهل ، وحجتهن أن الأيام كفيلة بتعليمهن ، وأنهن قد

مررن بنفس الأمر دون أن تقوم أمهـاتهن بتفهيمهن ، وسارت حياتهن علـى مـا يرام .

ولمثل هـؤلاء أقـول : إن حياة اليوم غير حياة الأمـس فالانفتـاح الحضـاري والإعلامي بوجه خاص يوجب على كل أم واعية وحريصة على أبنائها أن تجعـل من نفسها رقيباً سرياً ترقب كل شاردة وواردة ، وتصحح علـى إثرهـا المفـاهيم الخاطئة ، لأن أي معلومة خاطئة تترسب في ذهن أبنائها سيكون لها أثرها السـلبي على حياتهم المستقبلية .

وثاني الخطوات التي تعمل على نضوج الفتـاة ، وتنميـة إدراكـها للحيـاة الزوجية تأتي قبل الـزواج ، فتقـوم الأم باطلاع ابنتهـا على كل ما يتعلق بـهذه الحياة من أسرار وخفايا عن طريق المناقشات ، وعن طريق تقديم الكتب العلميـة والدينية الموثوق بها ، فمهمة الأم لا تقتصر على النصائح التي تتعلـق بالمـأكل والمشرب والمظهر الخارجي والمعاملة الظاهرية فقط .

فإذا ما أتمت الأم مهمة تدريب ابنتـها وتثقيفها ولمست فيها النضوج الكـافي الذي يساعدها على تحمل أعباء الحياة الزوجية حق لها أن تزفها إلى الشاب الـذي يخاف الله ويتقيه وهي مطمئنة على قدرة ابنتها على التكيف مع الحياة الجديدة .

ومن الخطـأ كل الخطـأ أن تدلل الأم ابنتها منذ الصغر ، وتـهمل تعليمـها الشؤون المنزلية بل تعتمد على الخادمة فقط ، مع إهمال تبصيرها بحقائق الحيـاة الزوجية ونراها تزفها إلى أول طارق ، فتفاجأ الفتـاة بتلك الحياة ، وتشعر بثقلـها وكبر مسؤوليتهـا ، وتحس بالعجز عن القيام بمتطلباتها ، فتزحف المشكلات إلـى حياتها زحفاً يؤدي بها إلى الفشل .

وكذلك الفـتى يجب أن يتربى منذ نعومة أظـافره على تحمـل المسؤوليـة

فيسند إليه والده بعض المهام الأسرية كقضاء المشتريات المنزلية ، وإحضار المهندس إذا تلفت في المنزل آلة من الآلات ، والوقوف معه ، ليتعود على الاحتكاك العملي ويكتسب الجرأة .

وعليه أيضاً أن يتحمل مسؤولية أخواته الإناث ، وإحضار طلباتهن ومساعدتهن.

ومن أهم المسائل وأعظمها تعليمه فن معاملة الإناث ، والرأفة بهن ، وتبصيره بحقيقة معنى الرجولة ، وأن ليس معناها السيطرة والتسلط ، بل معناها القدرة على تحمل المسؤولية والقدرة على حماية المرأة ، والقدرة على تفهم المرأة ومعاملتها بالحسنى ، وكريم الأخلاق .

ولا بد من تعويد الفتى منذ صغره على جمع ما يتبقى من مصروفه ، وإرشاده إلى طريقة الجمع السليمة ، وكيفية التنمية الصحيحة ، حتى يشعر بنوع من الاستقلال الاقتصادي .

وفي المرحلة الدراسية المتأخرة لا بد أن يكون لديه مورداً خاصاً للمال وإن كان ضئيلاً ، ليسانده على إقامة بيت أسري حتى وإن كان الأب ميسور الحال ، أما ما يقوله المؤيدون للزواج في سن مبكرة من اعتماد الفتى على والده الميسور الحال وأن الوالد هو المكلف بالإنفاق عليه ، فيبدو لي أن هذه الطريقة تجعل الفتى يعتمد اعتماداً كلياً على والده ، فلا يعرف قيمة الأسرة ولا يشعر بحرمتها ، لأنه لم يتحمل عبئها ولم يكدح في بنائها فمن السهل عليه إذاً التفريط فيها لأول عقبة تقف في طريقه .

صحيح إنّ آباءنا تزوجوا في سن مبكرة ولكنهم اعتمدوا على أنفسهم في تكوين أسرهم فشعروا بقدسيتها ووعوا حرمتها .

أخطاء في التربية

هناك بعض الأمور التربوية لا تلقي إليها **حواء** بالاً ، ويكون لهذا التفويت أثرٌ بالغٌ على سلوك الطفل !!

من تلك الأمور ترك الطفل وهو في سن واعية ينام مع والديه في غرفتهما .

ويعتقد الوالدان أن طفلهما غير مدرك لبواطن الأمور لصغر سنه فيقومان بممارسة علاقتهما الطبيعية في وجوده ظناً منهما أنه مستغرق في النوم .

أليس من المحتمل أن يستيقظ الطفل من نومه لأي سبب من الأسباب ؟؟ ولكن يبدو أن بعضهم يتبع هذا الأسلوب على سبيل العادة الموروثة من الأهل ، وبعضهم يتبعه تأثراً بالأفكار الغربية التي تنادي بضرورة معرفة الطفل بما يجري بين والديه حتى يشعر بالاطمئنان ـ على حد زعمهم ـ وحتى يدرك حقيقة العلاقة بينهما حتى لا يتأثر نفسياً ، فهم ينادون بسياسة الباب المفتوح بمعنى أن يتعمد الوالدان ترك باب غرفتهما موارباً حتى يدخل الطفل ويرى بعينه حقيقة ما يجري فيصبح الأمر لديه طبيعياً .

وبلا جدال فإن هذه المفاهيم خاطئة ، ولها آثارها الوخيمة على الطفل ، وقبل هذا وذاك فهي بعيدة عن التعاليم الإسلامية ، فالله سبحانه وتعالى قد أمرنا بتعليم أطفالنا آداب الاستئذان ، قال تعالى في سورة النور : **﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستئذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾**(١) .

---

(١) سورة النور :٥٩ .

وهناك بعض الأمهات ممن تأثرن بالفكر الغربي ، يحـاولن تقليد بعض اللقطات السينمائية أمام أطفالهن متجاهلات ذكاء الطفل ، فتسمح للأب بتقبيلها أو لمسـها أو المزاح معها بطريقة ملفتة لانتباه الطفل ، وكم من مرة سـمعنا فيـها طفـلاً يحدث مندهشاً أن أباه قد قبّل أمه .

ويبـدو لي أن مثل هذه العـلاقات يجب أن تغطى برداء الحيـاء حتـى يحفظ الوالدان هيبتهما ووقارهما أمام أطفالهما .

حواء العاملة

إن قضية عمل المرأة قضية شائكة جداً ، لأن لها آثارها الإيجابية والسلبية على الأسرة والمجتمع ، وتتحدد هذه السلبيات والإيجابيات بحسب الظروف المحيطة بالمرأة .

وأنا هنا أتحدث عن عمل المرأة داخل الأطر التي رسمها الإسلام وحددها . لقد أصبح عمل المرأة اليوم في نظر الكثيرين ضرورة اجتماعية حتمية ، وأصبح مقصد الكثيرات من العلم هو الحصول على الشهادة للولوج بها إلى ميادين العمل ، وأخذت المرأة تعمل لتهرب من كلمة " **ربة المنزل** " وكأن هذه الجملة وصمة عار تذكرها بعصور الجهل .

رأت المرأة في بلدي أن كل نساء العالم قد خرجن للعمل ، فأرادت تقليدهن دون أن تنظر إلى الظروف المحيطة بها .

وأنا لا أدعو في حديثي هذا إلى الجلوس المطلق في الدار ، ولا أدعو أيضاً إلى الخروج المطلق من الدار ، إنما أقصد جعل أمان الأسرة واستقرارها هو الحد الفاصل للعمل .

فإذا استطاعت المرأة أن تؤدي كل حقوقها وواجباتها المنزلية على أكمل وجه وأصدقه ، وبقي لديها مزيد وقت ـ وقلَّ ذلك ـ يمكنها أن تفكر حينئذ في العمل المناسب الذي لا يتعارض مع واجباتها الأسرية .

ولكن الحقيقة التي لا يغفل عنها غافل أن سلبيات المرأة العاملة تفوق إيجابياتها ، وهذه الحقيقة تنطق بها كل امرأة عاملة في لحظة من لحظات الصدق ، ولكن مهما تحدث المتحدثون عن سلبيات المرأة العاملة يبدو أن المرأة انبهاراً بالحضارة الزائفة البراقة وجرياً خلف سراب التقدم قد صمَّت

آذانها ، وغلّقت قلبهـــا ولم يبق أمامنا إلا أن نجد بعض الحلول والمخارج التـــي قـــد تخفف ــ ولا تزيل ــ وطء المصاب ، فهناك حلول خاصة وحلول عامة .

فمن الحلول الخــاصة :

١ــ التحقق من رضاء الـــزوج رضاءً قلبياً تاماً ، وليس رضاء قسر وإجبـــار ، وأقصد برضاء القسر هو أن يكون الزوج مجبراً على الموافقة وفاءً بشرط كتـــب في عقد الزواج ، فتظل المرأة تذل الرجل بهذا الشرط كلما حــــاول أن يثـــــنيها عن عزمها لقصور رآه منها ، وتذكره بتحدٍ " إن هذا الشرط في العقـــــد ، وقـــد وقعت عليه بالموافقة " !!

صحيح إنه شرط عليه ، ولكن إذا رأى الرجل من المـــرأة تقصــــيراً فـــي حقوقه وواجبـــاته حق له أن يلغي ذلك الشرط ، ولها بعد ذلك الخيار بين العيـــش في كنفه ، وتحت طاعته ، وبين الدراسة والعمل .

وأقـــول : إن رضاء الزوج رضاء اقتنـــاع يذلل المرأة كثيراً مـــن العقبـــات ، فهو سيغض الطرف عن كثير من الأمـــور ، وسيقوم هو بمساعدتها ، ويخفـــف العبء عنها .

أما إذا لم يكن راضياً فإنه سيصبح حجر عثرة في طريقها وسيحاسبها علـــى كل صغيرة وكبيرة مما يؤثر على حياتها الأسرية وحياتها العلمية والعملية .

وكم من البيوت هدّمت بسبب عدم رضاء الزوج .

فالمـــرأة الحكيـــمة هي التي تنظر إلى مصلحــــة بيتها وأولادها قبل كــــل شيء ، هذا إذا كان الزوج زوجاً مطيعـــاً لله منفذاً لأوامــــره ، يتحلـــى بكريـــم الأخلاق ، وحسن المعاشرة ، أما إذا كان زوجاً سيئ الخلق عاصياً لله لا تـــأمن **حـــواء** استمرار الحياة معه ، وتتوقع الانفصال عنه في أي لحظة ، فعليها أن

تعض على عملها أو علمها بالنواجذ ، وتسعى جاهدة في الاستقلال بشخصيتها حتى إذا حدث ما تخشاه استطاعت أن تواجه المصائب بقلب جسور ، وبنفسية مهيأة لمواجهة صفعات الحياة .

٢ ـ **الأمر الثاني الذي يجب أن يتوافر للمرأة العاملة** هو وجود يد أمينة ترعى أطفالها في ساعات غيابها كأمها ، أو أختها ، أو أم الزوج ، أو أخته ، على أن يكنَّ راضيات رضاء محبة ومودة لا رضاء حياء و لا مجاملة ، فبعض الأمهات أو الأخوات قد يغلبهن الحياء فيوافقن مرغمات ، وقد تلمح الأم العاملة سحنة الضيق التي تكسو الوجوه ، ولكنها تتغاضى وتتجاهل ، وتكون بذلك قد كلفت غيرها بما لا يطيق ، و قد تضطر المتكلفة إلى التصريح أو التلميح من وراء ظهرها ، أو أمامها بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقها ، وبيان مساوئ الأم العاملة ، هادفة إلى إشعار هذه الأم بحقيقة الوضع لعل ذوقها يتنبه ، وإحساسها يستيقظ ، ولكن تشبثها بالعلم ، وجريها اللاهث خلف العمل أعماها عن رؤية الحقائق ، وأصمها عن سماع كلمة العدل ، وانجرافاً مع هذا التيار نسيت التمثل بخلق المصطفى ﷺ فقد كان ﷺ يحب أن يقوم بجميع أعماله بنفسه فكان يخدم نفسه ، ويخصف نعله ، ويفلي ثوبه ، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها : « **ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته قالت : كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه** »[١].

وفي سلوكه هذا حث للإنسان على الاعتماد على نفسه في قضاء حوائجه ، وعدم تكليف أحد بها ، وإن كانت تلك الحاجة لا قيمة لها ، لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، وصححه الألباني ، انظر : مسند الإمام أحمد : ٢٥٦/٦ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢٨٠/٢ حديث رقم ٦٧٢ ، صحيح الجامع الصغير : ٢٧٣/٤/٢ رقم ٤٨٧٢ .

الاعتماد على الغير يعوِّد المرء على ذل السؤال ؛ ولأن النفس الإنسانية تمل وتتعب من كثرة الطلب والتكليف ، فكيف إذا كان الأمر متعلقاً بتربية إنسان ورعايته ، وهو في أحوج سنوات عمره ، هذا إلى أن أسلوب التربية يختلف من الأم إلى الجدة ، فالجدات من عادتهن تدليل الأحفاد لفرط محبتهن ، إلى جانب أن الجدة ــ جزاها الله خيراً ــ قد ربت وقامت بواجبها على أكمل وجه ، وأتم أداء ، فآن لها أن ترتاح ، وتتمتع بثمرة تعبها وحصيلة جهدها ، فترى أحفادها يحفّون حولها يسلونها ويسرون عنها لا أن تظل تحمل همهم ليلها ونهارها .

وهذا الحل وإن كنت لا أستسيغه ، ولا أحبذه إلا في أحوال ضيقة ومحدودة ، ولكنه في نظري أخف الضررين ، فهو أخف من رمي فلذات الأكباد في أحضان الخادمات ساعات طوال ، وهذه أولى سلبيات المرأة العاملة وأفدحها ، فهي تضطر طائعة إلى قذف جوهرة فؤادها في يد خادمة تجهل بيئتها وأخلاقياتها ، وتصبح الخادمة في غضون يوم وليلة هي الأم الفعلية ، فهي التي تؤكل الطفل ، وتنظفه ، وتلعبه ، وتذهب به إلى فراش النوم.

فالأم قد جاءت من عملها تعبة مرهقة من ضغط العمل ، فكل ما تستطيع فعله لطفلها هو أن تبتسم له ابتسامة مرهقة فاترة ، قد ضاعت على الشفاه ، وأن تلامس خده ملامسة باردة لا عاطفة فيها ولا حياة ، ثم تذهب لتنام ، فإذا ما قامت قبيل المغرب نظرت حولها ، فوجدت بقية أبنائها متحلقين حول الفيديو أو التلفاز ، فتنهرهم ، وتنعتهم بالإهمال ، ثم تبدأ بالمذاكرة لهم مذاكرة عابرة سطحية حتى لا تحس بوخز الضمير ، ثم تأخذ عباءتها وتبدأ في قضاء بعض الزيارات ، فإذا ما عادت إلى الدار وجدت الفيديو مفتوحاً ، والأطفال كأنهم

فَرَاش مبثوث كل منهم ملقى على وجهه دون غطاء ، ودون عشاء وإذا التقـــت بالزوج المسكين فإنها تبدأ بالتشكي والتألم والتضجر ، وعلى الوسادة تتذكـــر أن لديها طفلاً رضيعاً ينام الآن في حضن الخادمة لم تره طوال اليوم ، فتبتسم فـــي بلاهة ، وترجئ رؤيته إلى الغد .

هــذا إذا كانت عاملة ، والمصيبة العظمى في المرأة المتزوجة الطالبـــة ، فهذه ليس لديها وقت لرؤية نفسها ، فصبـــاحها فـــي الجامعـــة أو المدرســـة ، ومساؤها في الاستذكار وتحضير الدروس ، والتأهب للامتحانـــات ، وحتمـــاً تكون قد نسيت بيتها وأولادها وزوجها .

فالبيت متروك لذوق الخادمة ، والأطفال ومذاكرتهم ملقاة على عاتق البخت والحظ ، والــزوج دائر بين منازل الأصحاب ، فهو لا يستطيع الجلـــوس فـــي البيت الكئيب ، ولا يستطيع أن يقنع زوجتـــه بالجلوس في المنزل ، لأنـــه قـــد كبـــل نفسه حين العقد بشرط إكمالها للتعليم .

وبعد هذا نرى **حـواء** تتشكى من ضعـــف مســـتوى أطفالـــها الدراســـي والتربوي ، ومن هروب وتفلت زوجهـــا ، ومن عدم قدرتهـــا على التحصيـــل الجيد ، فهي كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، وإني لأتذكر قصة الأســـتاذ الجامعي الذي انشغلت عنه زوجه بمنصبها المرموق ، وأطلقت يد الخادمة فـــي البيت ، فأصبح الزوج لا يراها إلا لماماً ، فما كان منه إلا أن تزوج الخادمة !!

وأخرى تحكي بكل افتخار إنها من شدة التعب لا تستطيع أن تقدم كوب ماء لزوجها ، وأصبحت تسمح للخادمة بأن تقوم بعمل مساج له لأن جسمه تعـــب ، وهي ليس لديها الوقت لمثل هذا العمل الهامشي !!

❋ وطالبـــة جـــاءتني تبكي تريد تأجيل الامتحـــان ، وعندما سألتها عن السبب

قصت لي : إن زوجها قد أجريت له عملية " البواسير " منذ عـــدة أيــام وهـــي منشغلة عنه بالامتحانات ، فحصلت له بعض المضاعفات حتى إنــه لا يســتطيع الذهاب إلى دورة المياه بمفرده ، وهي لانشغالها لا تســتطيع أن تقــوم بذلــك ، وقامت بينهما مشادة ، فقال لها : أتودين أن تقوم الخادمة بهذا العمل ؟! وعلـــى الرغم من مقولته هذه لم تستطع التغيب إلا ليوم واحد ، لأن نظـــام الكـــلية لا يسمح لها بالتغيب ، وإلا حسم من مكافأتها ، وهي بالطبع لا تريـــد أن تضحـــي بجزء من تلك المكافأة !!

❋ وأخرى حكت لي عن أختها قصة أنكرهـــا ســـمعي ، ورفضتـــها فطرتـــي ، وظللت طوال سماعي وأعصابي كلها مشدودة لعل النهاية تهدئ مـــن روعـــي ، وتسكن نفسي ، ولكن هيهات .

تقول راوية القصة : إن أختها الطالبة بإحدى الكليات قـــد لاحظـــت علـــى طفلتها البالغة من العمر ثلاث سنوات أنها تقـــوم بممارســـة صريحـــة لبعـــض الحركات الجنسية مع عروستها مما أدهشها وأفزعها ، فحكت للوالد مـــا رأت ، فاستيقظت حمية الأب الوهميـــة ، واتفق مع زوجـــه علـــى مراقبـــة المـــنزل ، وبالفعل اصطنع الأب نزول العمل ، وبقي خارج المنزل يراقبه .

وبعد مرور ساعة من الوقت رأى رجلاً غريبـــاً يصعـــد إلـــى داره ورأى الخادمة هاشة باشة في استقبـــاله ، وبعد برهة داهمهما وهما يمارسان الحــــرام أمام الطفلة دون خجل أو وجل ، ودون شفقة على تلك الطفلة البريئة .

عندما انتهت محدثتي إلى هذا الحد ، أخـــذت استحثهـــا لتقص علـــيّ ردود فعل الأب ، لا بد أنه طردها شر طرده ، ولكنها قـــالت وبكل برود : إن أختـــها طالبـــة ، وعلى وشك ولادة ، والامتحانات على الأبـــواب ، وبالطبع لا تستطيع

الاستغناء عن الخادمة في مثل هذه الظروف الصعبة ، وكل ما فعلته أنها وبختها ، وأصبحت تغلق عليها باب المنزل فقط !!

انغلق فمي المندهش ، وارتخت أعصابي المشدودة إلى حد لم أعد أدرك ما حولي ، وتثلجت أطرافي ، وأخذ الغثيان يتسرب إلى نفسي ، والتساؤلات تتضارب في رأسي : أين عاطفة الأمومة التي تسير في شريان القلوب ؟! أين الحمية الإسلامية ؟! أين الغيرة المحمودة ؟! أين الخوف من الله ؟!

إذاً العمل أو الدراسة في مثل هذه الظروف يعد معول هدم لا أداة بناء ، وعلى المرأة أن تتقي الله وتخشاه ، وترعى الأمانة الموضوعة بين يديها .

وعلى المرأة أن تكون صادقة أمينة مع نفسها ، وأن تكون نزيهة في حكمها ، وأن تلقي بكل أهوائها خارج حدود الذات ، ثم تبدأ في وضع المقياس الأمني للأسرة واضعة نصب عينيها قوله تعالى : ﴿**إنَّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً**﴾.[1]

وقوله ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » .[2]

وعلى المرأة العاملة أن تسأل نفسها وتجيب بصدق تام ، ما الهدف الذي خرجت من أجله من دارها وجنتها ؟؟ هل هو المنصب والجاه حتى يقال : فلانة متعلمة ، وحاصلة على أكبر الشهادات ؟! هل هو المركز الاجتماعي

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب المرأة راعية في بيت زوجها : ٤١/٣ .

والوظيفي ؟! هل هي الأنانية المفرطة التي تدفعها لتحقيق الذات ؟! هـــل هـــي المادة التي بدأت تصهر كل المشــاعر والأحاسيس الفطريـــة ، والتـــي عمــت القلوب والأبصار ، فإن كان خروجك للعمل أو الدراسة لأحد هذه الدوافع ، فـــهو خروج لا بركة فيه ولا خير .

وكم سمعت من أفواه العاملات اعترافهن بالتقصير في أحد جوانب الحيـــاة فتلك مقصرة في عملها تتغيب أياماً وتتهرب أسابيع ، وهي ماهرة فـــي اختـــلاق المعاذير ، والتحايل على الوحدة الطبية ، والجـــري وراء الواســطات ، وبعــد التغيب المتواصل تأتي بكل حماس في نهاية العـــام لتخلــط الحــابل بالنــابل ، والنتيجة رسوب جماعي للطالبات .

وتلك مقصرة في حق زوجــها ، فإذا ما صارحها بـــهذا التقصــير نعتتــه بالقسوة وعدم الرحمة والأنانية ، والأخرى مقصرة في حق أبنائها ، فهي معلمـــة ناجحـــة ، ولكن أبنائها في مؤخـــرة الصف ، وتلـــك تتبـــاهى بتوافـــر جميـــع الكماليات لدى أبنائها ، وأنهم أفخر الأطفال لبساً ، وما من لعبة إلا وقـــد أذلـــها أطفـــالها ، ونسيت أن هذه الجمادات لا تشبع عـــــاطفة الطفــل ، ولا تـــروي عطشه العاطفي ، ولا تغذي فكره ، ولا تقوِّم شخصيته . ويستبعد أن تجد امـــرأة قد وفقت في جميع جوانب الحياة ، فطاقة الإنسان محـــدودة ، وتركيـــب المـــرأة الجسمي والعاطفي يقف حائلاً دون القيام بهذه الأعمال جميعها ، ولقوله تعـــالى : **﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾** (١) .

٣ــ الأمـــر الثالث : التنازل عن الحقوق الشخصية تنازلاً كبيراً ، فالأم العاملـــة لا بد أن تودع ســـاعات الراحـــة ، وتحرم نفسها من كثير من مباهج الحيـــاة ،

---

(١) سورة الأحزاب : ٤ .

وتحتمل الكثير الكثير من أجل إسعاد أبنائها وبيتها وزوجها ، وفي هذا مـــا فيـــه من ضغط الأعصاب له أثره غير المباشر على مسيرة الحياة .

هذه بعض الحــلول الخاصة التي تقع على عاتق المرأة العاملة .

أمّا الحلول العامة :

فإنها تقع على عاتق المؤسسات التعليمية ونظام التعليم ، ومنها :

١ــ إعطاء الأم العاملة إجازة أمومة مفتوحة بدون راتب لمـــدة ثمـــان ســـنوات خلال سنوات العمــل كلها ، وفائدة هذه الإجازة هو تمكيـــن الأم مـــن تكييــف ظروفها العملية والأسرية .

٢ــ ويبدو لي أن أسلم الحــلول ، وأنفعها وأيسرها ، وأســـرعها هـــو خفــض ساعات العمل للأم العاملة ــ مع خفض الأجر بالطبع ــ بحيث يصبـــح نصــف دوام ، أو تطبيق نظـــام الساعات بحيث تعمل كل أم ســـاعات معينـــة بحســب ظروفها على أن تتفق مع أختها أو جارتها ، أو أي شخصية تثق بها حق الثقـــة على أن تتناوبا العمل ورعاية الطفل .

ويحتاج هذا النظام إلى عدد كبير من المدرسات والأيدي العاملة ، ومن هنـــا نتمكن من حل مشكلة الطالبات المتخرجات اللواتي يمكثن في منازلهن من غـــير عمل ، فأصبحن فريسة سائغة للفراغ .

٣ــ إنشاء حضـــانات على مستوى عالٍ ورفيع في كل مدرســـة ، أو مؤسســـة علمية ، والسماح للأم بإرضاع طفلها في ساعة معينة من العمل .

٤ــ ومن الممكن تعاون المدرسات مع بعضهن ففي حصـــص الفـــراغ تذهــب إحداهن لرعايـــة الأطفـــال ، ومراقبـــة النظـــام والنظافـــة فـــي الحضانـــة ، والاطمئنـــان عليهـــا .

٥ــ إنشاء المجمعـــات التعليمية حيث يحوي المجمـــع : حضانـــة ، روضـــة ، ابتدائي ، إعدادي ، ثانوي ، مما يمكن الأم العاملة من رعاية أبنائها ، ومراقبـــة سلوكهم ، وسيرهم التعليمي بسهولة ويسر .

هـــذه بعض المقترحات التي قد تساهم في إعادة الاستقرار الأسري الـــذي فقد نتيجة لهروب المرأة من مسئوليتها بحجة العمل .

الأمومة الموؤدة

سقى الله أياماً كانت تفوح منها رائحة الأمومة عطرة زكية ، تلك الأيام التي كانت الأم فيها تجسد كل معاني الأمومة ، فكان همها الأول والأخير هو أبناؤها .

كانت تخاف عليهم من نسمة الهواء ، كانت تتفانى في تمهيد سبل الراحة لهم وتجتهد في تهيئة الجو السليم للاستذكار والتحصيل على الرغم من كونها غير متعلمة لا تقرأ ولا تكتب ولكنها كانت أماً واعية .

فالجهل أو التعليم ليس هو الفيصل ، وإنما هو الوعي ، وأنا في موضوعي هذا لا أخص المرأة المتعلمة فقط ، بل أخص كل أم متعلمة أو غير متعلمة ، كل أم أغمضت عينيها عن مسؤوليتها العظمى ، فكثير من الأمهات اليوم غير واعيات بمسؤولياتهن حيث تخلت الواحدة منهن عن أمومتها طائعة مختارة ، ولم تبق منها إلاّ الشكل الظاهري من مداعبة باردة أو بسمة هامدة ، وأصبحت التربية في مفهومهن مجرد نهر وصراخ وعقاب ، أما بقية وظائف الأمومة فقد ألزمت بها تلك الخادمة المستقدمة من بيئة مجهولة ذات ديانة أو عادات وتقاليد وأخلاقيات وطبائع تغاير مجتمعاتنا .

إنه مما يؤلم النفس حين تذهبين إلى ملاعب الأطفال وتنظرين حواليك فلا ترين إلا أطفالاً في سن الزهور اليانعة قد أرسلوا مع الخادمة والسائق .

وقد رأيت بأم عيني خادمة وسائقاً ومعهما عدد من الأطفال ، تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة إلى العاشرة قد تركتهم الخادمة يمرحون في الملاعب لتمرح هي مع السائق ، وأمام ناظر الجميع ، بل وناظر الأطفال !!

لقد تبلد حس الأمومة في النفوس وتجمد !!

❋ **ذكرت لي صديقة صدوق** ــ بإذن الله ــ أن طفلة قد تركت في المدرسة إلى ما بعد انتهاء الدوام لفترة طويلة ، فاضطرت المدرسة المناوبة للجلوس معها حتى أذان المغرب ، ثم اضطرت إلى أخذها معها إلى المنزل مع ترك رقمها وعنوانها عند بواب المدرسة ، بعد أن أعلمت المديرة بالوضع . ظلت في بيتها أمام الهاتف ، تنتظر أن يرن جرسه ولكن دون جدوى ، وما أن أشرق الصباح حتى اصطحبت معها الطفلة ، فطلبت المديرة والدتها ، وأخذت تنتظرها والغيظ يضطرم في جوانحها ، وبعد ساعة رأت أمامها خادمة تتكلم العربية بلسان ذي عوج ، وحين سألتها عن والدة الطالبة أخبرتها الخادمة أنها مندوبة عنها وعلمت منها أن الوالدة بالأمس كانت مشغولة جداً للحد الذي أنساها أن تسأل عن ابنتها ، والأب بطبيعته جاء متأخراً ودخل لينام معتمداً على السائق والخادمة ناسياً أن هذا اليوم هو يوم إجازتهما .

ومن المظاهر التي يندي لها جبين الأمومة أن مجالس الأمهات في بعض المدارس أخذت تكتظ بالخادمات بدل الأمهات .

وفي حديثي مع بعض معلمات الروضات كنت أفغر فمي عجباً مما أسمع فذكرت إحداهن أن أحد الأطفال قد جاء الروضة وهو يلبس قميص والده الداخلي !!

وأخرى ذكرت أن أزارير مريلة الطفل كانت معظمها منزوعة فما كان من الخادمة إلا أن صفت له صفاً من المشابك .

❋ **أما أغرب الحكايات** تلك الحكاية التي أبت أن تبرح خيالي ، والتي توضح قمة إهمال الأم وغفلتها وانعدام أمومتها .

ففي إحدى الروضات ، وفي وقت الانصراف وبعد مدة زمنية كبيرة تبرَّز طفل على ملابسه ، فما كان من المسؤولة إلاَّ أن خلعت له تلك الملابس ، ووضعت له الملابس المتسخة في كيس ، ووضعته في حقيبته ، لأن والده قد أتى ، وخادمة الروضة قد انتهى دوامها وانصرفت . كان هذا الحدث في نهاية الأسبوع الدراسي ، وفي يوم السبت ، وبعد أن دخل الأطفال الفصول ، شمت إحدى المعلمات رائحة كريهة جداً لا يستطيع تحملها إنسان ، وعندما أخذت تبحث عن مصدرها وجدت حقيبة أحد الأطفال وبها كيس به ملابس متسخة بالبراز ، وقد زحف إليها الدود ، وانبعثت منها الرائحة الكريهة .

وهنا نتساءل أين كانت الأم يوم الأربعاء ــ الخميس ــ الجمعة ؟؟

ألم تشاهد طفلها طيلة هذه الأيام الثلاثة ، ألم تسأل عن واجبه ؟؟

أين كانت حاسة الشم عندها ؟؟!

أين الخادمة الأمينة التي اعتمدت عليها ؟؟!

من أتى به يوم السبت صباحاً ؟؟ ألم يشم تلك الرائحة النفاذة ؟؟!

والظاهر أن كل الحواس والأحاسيس قد تجمدت بتجمد روح الأمومة .

تعود صديقتي وتذكر أن الإدارة بعثت تطلب حضور الأم وبعد إلحاح شديد حضرت الأم وهي في قمة زينتها إلى حد أدهش المديرة ، وأنكرت أن تكون هذه الأم الماثلة أمامها أماً مهملة ، ولكنها علمت منها أنها أم ومدرسة بإحدى المدارس !! لم تتملك المديرة نفسها ، وأخذت تؤنبها على ذلك الموقف ، والأم تتحدث في برود متناهٍ ، وكأن الأمر لا يعنيها .

وهذا الموقف يظهر أنانية هذه الأم ، وحبها لنفسها ، وانشغالها بزينتها ، والظهور بأبهى صورة مع إنكار حقوق أطفالها .

وصـــدق شـــوقي إذ قـــال :

وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ومن الغُرور فسَمِّه التضليلا
وإذا أصيب القـــوم في أخلاقهـــم فأقم عليهـــم مأتماً وعويـــلا
وإذا النســـاء نشـــأن في أميـــةٍ رضع الرجال جهالة وخمول
ليس اليتيم من انتهى أبـــــواه من همِّ الحيـــاة وخلَّفـــاه ذليـــلا
إن اليتيـــم هـــو الـــذي تَلَقَّى لـــه أمًّا تَخـــلَّتْ أو أبـــاً مشغولا [١]

ولله در الشيخ محمد الغـــزالي إذ قـــال :

" المرأة نصف بناء العالم ، فإن تمردت على وظيفتها تداعى البناء وانهار " [٢]

---

(١) الشوقيات : ١٨٣/١ .

(٢) قالوا في المرأة : ١٣٩/٢ .

كلمة إلى حواء الداعية

الدعــوة إلى الله أمر تكليفي على كل مســـلم ومســلمة ، ولكــن ارتبــاط المـــرأة بالزوج والأولاد يجعل طريق دعوتها مرهوناً بهما ، فطاعـــــة الـــزوج واجبة ، ولا يحق لها أن تخرج للدعوة من غير إذنه ورضاه ، ولكن نجد بعــض النساء يعميهن الحماس عن اتباع هذا الأمر ، فنرى الـــــواحدة منـــهن تخــرج للدعوة دون إذن زوجها أو أنها تتحايل عليه ، ولا تخبره بحقيقة المكـــان الـــذي سوف تذهب إليه ، ومنهن من تخرج وزوجهـــا عليها ساخط ، وأتذكر في هـــذا الصدد قصة فتـــاة كانت تعمل بهمة ونشاط في أحد الأسواق الخيريـــة ، وفجـــأة شعرتُ بتغير في ملامحها ، وأخذت دموعها تتساقط ، فســألتها عـــن الســبب ، فأخبرتني أن زوجهـــا غير راضٍ عن خروجها اليـــومي المتكرر ، فـــهذا هـــو اليوم الثالث للسوق الخيري ، أضف إلى ذلك عـــدداً من الأيـــام قضتـــها فـــي الاستعداد لهذا الســـوق ، وكذلك فهي تعود يومياً متأخرة جداً ، وقـــد أضناهـــا التعب والأرق ، وقد ترك اليوم البيت غاضبـــاً ، ولا تدري هل سوف يعـــود أم سيمضي ليله خارجـــاً .

نظـــرت إليها عـــاتبة مستغربة أي أمر دعوي تتحـــدثين عنه ، أين أنـــت من قوله ﷺ : « **أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في ســـخط الله حتى ترجع إلى بيتها ، أو يرضى عنها زوجها** »(١).

كان عليك أن لا تندفعي هذا الاندفاع ، وأن توفقي بين حبك للدعوة ، وحبك لزوجك ، فتشتركين في يوم واحد فقط ، هذا بعد رضاء زوجك ، وإلا فجلوسك

---

(١) الجامع الصغير : ١/١١٨ .

في بيتك أفضل ، وقد سمعت أخرى تتحدث بأنها امرأة عاملة ، وهـــي تخــرج للدعوة يومياً مع رضـــاء زوجها ، وموافقته التامة ، فهو أيضاً منشغل بـــالدعوة مثلها ، فأكبرت فيهما هذا الأمر ، حتى علمت أن أبناءهما يقضون معظم أوقاتهم بين أحضان الخادمات ، أو يطرقون أبواب الجيران ، وقد يمضي اليـــوم وينـــام الأطفال من غير أن ينعموا برؤية والديهما ، مع انتــفاء المعايشة التـــي تمكــن الـــوالدين من عملية التربية والتقويم ، فالتـــربية الإسلاميـــة ليست هـــي حفــظ الأدعيـــة الدينيـــة فقط ، وحفظ بعض الآيـــــات وترديدهـــا علـــى مســـامع الزائرين والــزائرات ، وإنما هي تطبيق عملي لهذه الآيات يظهر فـــي ســلوك الطفل وتعامله .

وتلك تتحدث عن نشاطها في الدعـــوة ، وتحث النساء على ترك الخمـــول والبلادة ، وأن ينشطن للعمل الدعـــوي ، فذكـــرت لها إحداهـــن أنـــها كثـــيرة الأطفال ، ولا تستطيع الخروج المستمر للدعـــوة ، وإنمـــا هـــي تحـــاول عقـــد مجالس للذكر مع جاراتها ، وبعض صديقاتها ، وظـــروف زوجـــها العمليـــة لا تساعدها ، فهو يأتي من عمـــله منهوك القوى يحتاج إلى بسمة صافية ، وإلى يـد حانية تنسيه ذلك التعب ، من سيقوم بخدمته ؟؟ فسألتها الأخـــت : أليـــس لديـــك خادمة ؟؟ فأجابتها : نعم لدي ، ولكنني لا أتركها تخدم زوجي ، ولا تظهر عليـــه إنما تقوم بأعمال المنزل فقط .

فأجابتها : بأن هذا هو الاستغلال السيئ للخادمات ، والذي يعيق الدعـــوة ، فإن مثل هذه الأعمال البسيطة الهينة مثل تحضير الطعـــام والشـــاي تســتطيع الخادمة أن تقوم به ، وأن يقوم الأطفال بتقديمه لأبيهم ، فأنا الآن تركت زوجـــي وأطفالي عند الخادمة ، فأنا أثق في دينه وأخلاقه ، علاوة على أن غرفة الخادمة

بعيدة عن غرفته ، وحتى إذا نام الأولاد ، فهناك هاتف يستطيع أن يطلب عن طريقه الخادمة ، ويطلب منها ما يريد ، وتضعه عند باب غرفته وتذهب .

وهكذا استطاعت هذه الأخت أن تستخدم التكنولوجيا في الدعوة .

هذه بعض التعليلات السقيمة لبعض النساء اللواتي يجرفهن الحماس الوهمي بعيداً ، فيتركن الحقائق ، ويتعلقن بالجزئيات ، كيف تخرج الواحدة من دارها ، وتترك زوجها والخادمة تحت سقف واحد ؟! أين هي من قوله ﷺ : « **لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم** ».(١)

وقال ﷺ : « **لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما** »!(٢)

وقال ﷺ : « **ولا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم** ».(٣)

وآخر يتحدث عن مأساته مع زوجه التي أهملت البيت والأولاد بحجة الخروج للدعوة ، فهي أم لثلاثة أطفال ، اثنان منهما مصابان بإعاقة تامة ، ويحتاجان إلى رعاية خاصة ، فهما لا يريدان من متع الحياة إلا الابتسامة المرتسمة على الوجوه ، واليد الحانية التي تمسح على رأسيهما ، ولكن زوجتي أهملت ولديها ــ ووالدهما من قبل ــ إهمالاً تاماً ، وتركتهما للخادمة تقوم على خدمتهما ورعاية شؤونهما ، وكم ناقشتها في الأمر ، وذكرت لها إن هذه مصيبة من مصائب الدهر عليها أن تحتسب أجرها عند الله لا أن تهرب منها ، وكم حاولت إقناعها بأن هذه المصيبة قد تكون هي الباب الذي ندلف منه

---

(١) صحيح البخاري ــ باب لا يخلون رجل بامرأة ــ : ٤٨/٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨/١ــ٢٦ ، ٢٢ــ٤٤٦/٣.

(٣) رواه الترمذي ــ باب كراهية الدخول على المغيبة .

إلى الجنة ولكنها كانت تشيح بوجهها عنِّي وتحمل كتب الدعـوة وتخرج قائلـة : ﴿ واعلموا أنَّما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴾.[(١)]

أي منطق غريب تتحدث به زوجتي ، فهي لم تفهم من الدعوة غير اسـمها ، ولم تفقه معنى الحركة في الدعوة إلا بالقدر الذي تنفس به عن ذاتها ، فهي بـلا شك تجهل حقيقة فقه الدعوة وأصولها .

وأخيـراً وبعد مناقشات طالت سنين عديدة قررت طلاقـها ، لتسـرح وتمـرح بحريتها في مجال دعـوتها ، ووقع اختياري على الخادمة علـى الرغـم مـن مكانتي العلمية والاجتماعية المرموقة ، فالخـادمة قـد تعايشـت مـع طفلـيَّ المعوقين وحبتهمـا الحب والحنان ، ومن يضمن لي زوجـة أخـرى تناسـب مكانتي ، وتحن على أبنائي إن كانت أمهما قد رفضتهما .

وتلك أخـرى قد أهملت بيتها وترتيبه ونظافته ، وأهملت نفسهـا وأناقتـها بحجة أن الوقت قد أزف ، ولا وقت لهذه الأمور الدنيوية التافهة ، فالنـاس فـي ضلال وغي ، والدعـوة أصبحت فرض عين ، فقد حـان وقت النفير ، ثـم إن من الزهد ترك مباهج الحياة ، وعدم صرف الوقت في غير العبادة والدعـوة . إن هذه النظرة السوداوية للحياة تجعل صاحبتها تتصور الأمور تصوراً عكسـياً فتلون نفسيتها بالألوان القاتمة ، فيتسرب إليها القلق والكـدر ، فيختـل مـيزان الأمور عندها .

لقد نسيت هذه الأخـت أن عمل المرأة في بيتها يعادل أجر الجهاد !!

* **روي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية** رضي الله عنهما أتت إلـى النبـي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : «**يا رسول الله إنِّي وافدة النساء إليك ، إن الله بعثك**

---

(١) سورة الأنفال : ٢٨ .

بالحق للرجال والنساء فأمنّا بك ، واتبعناك وإنّا ــ معشر النساء ــ محصورات قواعد بيوتكم ــ وحاملات أولادكم ، وأنتم معشر الرجال فُضلتم علينا بـــالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى وشهادة الجنائز ، وأفضل من ذلك الجـــهاد فـــي سبيل الله تعالى ، وأن الرجل إذا خرج حاجاً ، أو مرابطاً ، أو معتمـــراً حفظنـــا لكم أولادكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أما نشارككم في هـــذا الخير والأجر يا رسول الله ؟ فالتفت ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ، ثم قـــال : " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من هذه عن أمر دينها ؟؟ " فقالوا : يا رســـول الله ما ظننا امـــرأة تهتدي إلى مثل هذا ، فالتفت إليها رســـول ﷺ ، ثم قـــال : " انصرفي أيتها المرأة ، واعلمي من خلفك من النساء أن طاعة الزوج يعـــدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله »[١] .

والمرأة المسلمة الحقه يجب أن تكون أحرص النســـاء علـــى نظـــافتـــها ونظافة بيتها وأولادها ، لأن الإسلام أولى النظافة أهمية بالغة ، وجعلها شـــطر الإيمان ، قـــال ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان** »[٢] .

(١) الحديث بتمامه أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ، انظر الجامع الكبير ٢/٤٦٤ ، الـــترغيب والـــترهيب للمنذري : ٤/١٢١ . وقال رواه البزار والطبراني .

(٢) صحيح مسلم " كتاب الطهارة " : ٣/١٠٠ .

المرأة المثالية في نظر آدم

في مخيلة آدم صورة مثالية **لـحـواء** ، وهو يجد متعته ولذته فـي تجديـد نقشها في أحلامه .

إنه يحلم بامرأة يجد في عينيها الحنان ، وبين يديها الراحة والاطمئنـان ، وفـي قلبها الحب والأمان ، فهل ترغب **حـواء** في أن تجعل حلم آدمها حقيقة ؟؟!

إذا أرادت ذلك فعليها أن تقترب من وجدانه ، وتتعـايش مـع أحلامـه ، لتعرف تصوراته وآراءه .

حقاً لقد حاولت **حـواء** أن تعيش في أعماق آدم ، وتتـآلف مـع فكـره ، ورأت عن قرب **حـواء المثالية** التي يتمناها ، وهاهي تنقـل إليـك ملامـح **حـواء** التي تسكن فـؤاده :

١ــ **حـواء المثالية** هي التي تخاف الله وتخشاه ، وتتقيـه وتراقبـه فـي جميع سلوكها ، فلا يصدر منها عمل إلا بعد أن يمر بعمليـة المراقبـة هـذه ، فيخرج خالصاً نقياً طيباً سليماً .

٢ــ **حـواء المثالية** هي التي تختار آدمها من أجل دينه وعقيدتـه لا مـن أجل ماله وسلطانه ، عاملة بقوله تعـالى : ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** ﴾[(١)] .

وقوله : ﴿ **إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[(٢)] .

وقوله ﷺ : « **إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . ثلاث مرات** »[(٣)] .

---

(١) سورة النور : ٣٢ .　　(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، انظر : سنن الترمذي ، كتاب النكاح ــ باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه : ٣٨٦/٣ ، رقم الحديث : ١٠٨٥ .

٣ــ **حواء المثالية** هي التي تحب زوجها حباً حقيقياً سامياً يترفع عن الرغبات الدنيوية ، ويوصله إلى طريق الجنان ، فتكون خير صاحب ، وخير معين على الخير ، فقد حث الرسول الكريم ﷺ على اختيار المرأة الصالحة المؤمنة التي تعين على الآخرة فقال : « **ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة** » [(١)] .

وفي رحاب هذا الإيمان يتمتع آدم ، ويرتع في رياضه ، فيحس طعم الحياة ، ولذة السعادة ، وصدق المصطفى ﷺ إذ قال : « **الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » [(٢)] .

ويروى أن داود عليه السلام قال لابنه سليمان : (**يا بني إن المرأة الصالحة كمثل التاج على رأس الملك ، والمرأة السوء كمثل الحمل الثقيل على ظهر الشيخ الكبير**) [(٣)] .

٤ــ **حواء المثالية** هي الوفية لزوجها ، التي تحتفظ بحبها له سواء قبل إنجاب الأطفال أم بعده ، فهي التي تؤمن أن زوجها هو الأصل ، والأبناء هم فرع عن ذاك الأصل .

٥ــ **حواء المثالية** هي التي تحافظ على حرمة الحياة الزوجية ، وتأنف من تسرب أسرارها ، ولا تسمح لأحد بالتطفل وإقحام الأنف .

٦ــ **حواء المثالية** طيبة المعشر ، حلوة اللسان ، تمقت بذاءة اللسان لأنها

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء : ٣١٢/٢ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وأحمد ، واللفظ لمسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر : ٣٠/١٠ .

(٣) بهجة المجالس : ٣٠/٣ .

تؤمن بأن المـــرأة بذيئة اللسان " تدمي القلب ، وتجرح مشاعر الزوج ، وتؤذي الوجدان ، وتأتي بالهم والأحزان ، وتجلب الشجار والخصام ، إنـــها كـــالمنجل الذي يحصد سنابل الحب حصداً من قلب الزوج قبل موعد الحصاد "[١] .

وهي تؤمن أيضاً بقول عمـــر بن الخطاب ﷺ : " لم يعط عبد مـــن بعـــد الإيمان بالله تعالى شيئاً خـــيراً من امرأة حسنة الخـــلق ، ولم يعط عبد من بعـــد الكـــفر بالله تعالى شيئاً أشد من امرأة بذيئة اللسان سيئة الخلق " .

٧ــ **حــواء المثالية** هي التي تضحي بوقتها ، وعملها ، ومالها ، وبكـــل غالٍ ونفيس من أجل استقرار الأمن في جنتها الصغيرة .

٨ــ **حــواء المثالية** هي تلك المرأة الذكية التي تحب التجديـــد ، وتمقـــت الروتين ، تحب التجديد في مظهرها ، وفي حديثها ، وأسلوبها ، وفـــي ترتيـــب بيتها ، ونظام حياتها ، فتبدو عروساً جديدة في كل لحظة .

٩ــ **حــواء المثالية** هي التي تعتني بصحتها ، ولياقة بدنـــها ، ولا تكـــثر التشكي من الأمراض ، فالرجل يحب المرأة المتعافية دوماً ، أمـــا المتمارضـــة فإنها تتضاءل في نظره .

١٠ــ **حــواء المثالية** هي التي تتفنن في التزين لزوجها ، فلا يقع نظـــره عليها إلا على مليح ، ولا يشم منها إلا أطيب ريح .

١١ــ **حــواء المثالية** هي التي تملك إحساساً مرهفاً يمكنها مـــن معرفـــة الأوقات التي يأنس زوجها للحديث معها ، فتقص عليه من الكلام ما أغنى وأفاد وتعرف الأوقات التي يتضجر فيها زوجها ، فتحبس لسانها عن الحديث حتى لا

---

(١) الزوجات الأعداء :٥٣.

يتسرب الملل إلى قلبه .

١٢ـ **حـواء المثالية** هي التي تحافظ على جيب زوجـــها ، ولا تصـــرف القرش إلا بحقه ، ولا تكبل زوجها بالديون لشدة إسرافها .

١٣ـ **حـواء المثالية** هي التي تحترم ذوق آدمها ، فلا تزدريه بحركـــة أو نظرة ، بل تعمل جاهدة على إرضائه ، وتشكر له فضله وعطاءه .

١٤ـ **حـواء المثالية** هي التي تحترم زوجها أمـــام الصغـــير والكبـــير ، والوجيه والوضيع في السر والعلن ، وترسم له صورة جميلة في نفوس الجميـــع تتولد عنها الهيبة والاحترام .

١٥ـ **حـواء المثالية** هي تلك الأنثى الواعية التي لا تدع الغـــيرة تحـــرق قلبها ، فتعميها عن رؤية محاسن زوجها .

١٦ـ **وهي تلك الأنثـــى الماهرة** التي تعرف كيف تكسب قلـــب زوجـــها عـــن طريق كسبها لحمـــاتها ، وحبهـــا لأهله ، فالرجل يحترم الزوجـــة التي تحـــترم أهله ، وتودهم وتواصلهم .

١٧ـ **وهي تلك المـــرأة المحنكة** التي تعي الأوليات في حياتها ، فلا تقدم أمـــراً على آخر إلا بحسب أهميته وأوليته .

١٨ـ **حـواء المثالية** هي التي تستطيع التـــوفيق بين الدعـــوة في ســـبيل الله وبين بيتها وأسرتها ، فلا تجعل أحد الجانبين يطغي على الآخر .

١٩ـ **حـواء المثالية** هي تلك التقية النقية ، الصوّامة القوامة ، لا شـــامتة ولا لوّامة .

٢٠ـ **حـواء المثالية** هي التي تتخذ من زوجات الرسول ﷺ والصحابيات

مثالاً تقتدي به ، وتسير على خطاه .

٢١ــ **حــواء المثالية** هي التي تصغي في نهم إلى نصائح الغير ، وتستفيد من تجاربهم ، فتاريخنا العربي والإسلامي غني بالنصائح الثرّة ، فالعرب منــذ القدم عركتهم التجارب ، فتمخضت حِكماً ومواعظ استفادت منها الأجيال في كل زمان ومكان .

قــال بعض العــرب : لا تنكحوا من النساء ستة : لا أنّانــة ، ولا منّانــة ، ولا حنّانة ، ولا تنكحوا حدّاقة ، ولا برّاقة ، ولا شدّاقة .

أما الأنّانة : فهي التي تكثر الأنين والتشكي ، وتعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممراضة لا يأتي بخير .

والمنّانة : التي تمن على زوجها ، وتعيِّره بكل فعل أدته له .

والحنّانة : التي تحن إلى زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر .

والحدّاقة : التي تحدّق في كل شيء ، فتطلبه نفســها ، فــترهق زوجــها فــي إحضاره .

والبرّاقة : يحتمل معنيين : المعنى الأول : أن تضيع وقتها في صقل وجهــها ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع ، والثاني : أن تغضب على الطعام ، فــلا تأكل إلاّ وحدها ، وهذه لغة يمانية يقولون : برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده .

والشدّاقة : المتشدقة الكثيرة الكلام .

ومنه قوله ﷺ : « **إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منّي مجلساً يوم القيامة أحاســنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم مني مجلســاً يــوم القيامــة الثرثــارون والمتشــدقون ، والمتفيهــقون ، قالوا : قد علمنا الثرثــارون والمتشدقون ،**

فما المتفيهقون قال : المتكبرون » [1].

ولقد جمع الخشني صفات المرأة السوء ، ولقد أوجز فأبلغ ، قال :

" إياك وكل امرأة مذكَّرة منكَّرة ، حديدة العرقـوب ، باديـة الظنـوب[2] ، منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شـديد ، تدفـن الحسـنات ، وتفشـي السيئات ، تعين الزمـان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان ، ليـس فـي قلبهـا له رأفة ، ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلـت ، وإن ضحك بكـت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسـكها كانت مصيبته ، سفعاء[3]، ورهاء[4]، كثيرة الدعاء قليلـة الإرعـاء[5] ، تـأكل لمًّـا ، وتوسع ذمًّا ، صخوب ، بذية ، دنية ، ليـس تطفـأ نارهـا ، ولا يـهدأ إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكـة القناع ، صبيها مهزول ، وبيتها مزبـول ، إذا حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجامع ، بادية من حجابها ، نباحة علـى بابها ، تبكي وهي ظـالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دلَّيَ لسانها بالزور ، وسـال دمعها بالفجور " [6].

ولقد كان العـرب يحرصون كل الحرص على نصح بناتهم ، وتبصـيرهن بحقوق الـزوج ، وإرشادهن إلى طريق السعـادة ، كل ذلك بالحكمة والموعظة

---

(١) أخرجه الترمذي ، وقال : حسن غريب . سنن الترمذي :٣٦٣/١ . سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٤٣٤/٢ رقم ٧٩٠ .

(٢) الظنوب : هو حرف العظم اليابس من الساق لشدة الهزال ، اللسان " ظنب " ٥٧٢/١ .

(٣) سفعاء : السفع السواد والشحوب . اللسان " سفع " : ١٥٦/٨ .

(٤) ورهاء : الوره الحمق في كل عمل . اللسان " وره " ٥٦٠/١٣ .

(٥) الإرعاء : النزوع عن الجهل ، وحسن الرجوع عنه . اللسان " رعي " : ٣٢٨/١٤ .

(٦) العقد الفريد : ١٠٥/٧ .

الحسنة .

❋ **روي أن رجلاً من العرب** زوّج أربع بنات له ، فزار أولاهن فقال : (كيف ترين بعلك يا بنية ؟ فقالت : السهل بأرض محل [1]إن سألت أعطى ، وإن سكت ابتدأ من غير مَنٍّ ولا أذى ، فقال : أي بنية رزقتيه بجدك لا بكدّك. ثم زار الثانية ، فقال : أي بعل بعلك ؟ فقالت : جبار عنيد من الخيرات بعيد ، لا توقد له نار ، ولا يأمن له جار ، فقال : أي بنيّة ، صبَّت عليك بليَّة ، فليكن الصبر منك سجيَّة حتى تأتيك المنية ، ثم زار الثالثة ، فقال : كيف زوجك ؟ فقالت : ذو خلق نزق[2]، وشر غلق ، يجود لي في الغنى ، ويحرمني إذا افتقر ، فقال : أي بنية تذمِّين وتحمدين ، وكذا الدهر حين وحين ، ويحمل الغث والثمين ، ثم زار الرابعة ، فقال : أي بعل بعلك ؟ فقالت : ذو خلق جميل ، ورأي أصيل ، مقبل على أهله ، متكرم في رحله ، فقال : أي بنية رزقتيه ماجداً فامنحيه ودِّك ، وألطفيه جهدك) .[3]

❋ **وسئل أعرابي عن النساء** وكان ذا تجربة وعلم بهن ، فقال : (أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت التي إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئاً جوَّدت ، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها ، العزيزة في قومها ، الذليلة في نفسها ، الودود ، الولود ، وكل أمرها محمود) .[4]

ومن حكم سليمان بن داود عليه السلام : " المرأة العاقلة تبني بيتها ، والسفيهة تهدمه " .[5]

---

(١) المحل : الجدب ، وانقطاع المطر . (٢) نزق : أي خفة وطيش عند الغضب .

(٣) أحكام النساء : ٣١٤ـ٣١٥ . (٤) العقد الفريد : ١٠١/٧ . (٥) العقد الفريد : ٧٦/٧ .

المصادر والمراجع

١ــ **أحكام النساء** ، ابن الجوزي ، تحقيق : علي بن محمد المحمدي ، ط١ ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هـ .

٢ــ **أخبار النساء** ، ابن القيم الجوزية ، شرح وتحقيق ، نزار رضا ، ط بدون ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

٣ــ **إرواء الغليل** ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .

٤ــ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام** ، عمر رضا كحالة ، ط بدون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٥ــ **الأغاني** ، أبو فرج الأصفهاني ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ .

٦ــ **بهجة المجالس** ، ابن عبد البر ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٢ هـ .

٧ــ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** ، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، ط بدون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٨ــ **الترغيب والترهيب** ، زكي الدين عبد العظيم المنذري ، ضبط أحاديثه وعلق عليه : مصطفى عمارة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦م .

٩ــ **الجامع الكبير** ، أبو عبد الله محمد الشيباني ، عني بمقابلة أصوله : أبو الوفا

الأفغاني ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ هـ .

١٠ ـ **جمـهرة الأمثـال** ، أبو هـلال العسكري ، حققـه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطـامش ، ط١ ، المؤسسـة العربية الحديثـة ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٩٦٤م .

١١ ـ **ديوان علقمـة الفحل بشرح الأعلم الشنـتمري** ، حققه لطفي الصقال ، درية الخطـيب ، ط بدون ، دار الكتـاب العربي ، سوريـة ، حـلب ، ١٣٩٠هـ .

١٢ ـ **رسـالة إلى حـواء** ، محمد رشيد العويد ، مؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ هـ .

١٣ ـ **الزوجـات الأعداء والزوجـات الأسوياء** ، د . رمضان حافظ ، ط٢ ، المركز الدولي للنشر والإعلام ، ١٩٩٠ هـ .

١٤ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ .

١٥ ـ **سنن ابن ماجة** ، أبو عبد الله القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٥ هـ .

١٦ ـ **سـنن أبي داود** ، سليمان السجستاني ، ضبطه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط بدون ، دار إحياء السنة النبوية ، دار الفكر ، التاريخ بدون .

١٧ ـ **سـنن الترمذي** ، تحقيـق أحمد محمد شاكر ، ط٣ ، مكتبـة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٨ هـ .

١٨ ـ **السنن الكبرى** ، أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي ، ط١ ، مطبعة مجلس

دائرة المعارف العثمانية بالهند ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٧هـ .
١٩ ــ **سنن النسائي بشرح السيوطي** ، أحمد بن شعيب النسائي ، ط بدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٠ ــ **الشوقيات** ، أحمد شوقي ، ط١ بدون ، دار نشر بدون ، تاريخ بدون .
٢١ ــ **صحيح البخاري** ، محمد بن إسماعيل ، ط بدون ، دار مطابع الشعب ، التاريخ بدون .
٢٢ ــ **صحيح الجامع الصغير** ، الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دمشق ، ١٣٩٩ هـ .
٢٣ ــ **صحيح سنن ابن ماجة** ، الألباني ، ط٣ إشراف زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧ هـ .
٢٤ ــ **صحيح مسلم بشرح صحيح النووي** ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧ هـ .
٢٥ ــ **صفة الصفوة** ، ابن الجوزي ، حققه : محمود فاخوري وآخرون ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ١٣٩٩ هـ .
٢٦ ــ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي** ، ابن العربي المالكي ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .
٢٧ ــ **العقد الفريد** ، ابن عبد ربه ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٢ هـ .
٢٨ ــ **غريب الحديث** ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ هـ .

٢٩ ـ **فتح البـــاري شرح صحيح البخاري** ، أحمد بن علي العسقلاني ، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، التاريخ بدون .
٣٠ ـ **الفـــردوس بمــأثور الخطاب** ، إعداد السعيد زغلول ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـــ ـ ١٩٨٦ هـــ .
٣١ ـ **فيــض القــدير شـــرح الجــامع الصغير** ، محمد المدعو عبد الرؤوف المناوي ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .
٣٢ ـ **قـــالوا في المـــرأة** ، عبد الله الجعيثن ، ط١ ، مرامر للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١١ هـــ .
٣٣ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ، علاء الدين علي المتقي البرهان قوري ، ضبطــه وفسر غريبــه الشيخ بكر حياني ، صححـــه ووضع فهارسه :صفــوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـــ ـ ١٩٧٩م.
٣٤ـ **اللـــؤلؤ والمرجـــان** ، وضعـــه محمد فؤاد عبد البـــاقي ، ط بدون ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـــ .
٣٥ ـ **لســـان العـــرب** ، ابن منظور ، ط بدون ، دار صادر ، بيروت ، لبنان التاريخ بدون .
٣٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبـــع الفـــوائد** ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـــ ـ ١٩٨٢ م .
٣٧ ـ **المستدرك على الصحـــيحين** ، للحـــاكم ، وبذيله التلخيص للذهبي ، ط بدون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .

٣٨ ــ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، ط٢ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هـــ ــ ١٩٧٨ م .
٣٩ ــ **مشكـــاة المصـــابيح** ، محمد بن عبد الله الخطيب التبـــريزي ، تحقيق الألباني ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٥ هــ .
٤٠ ــ **المصنف** ، عبد الرزاق بن همام ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه : حبيب الرحمـــن ، ط بدون ، الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، التاريخ بدون .
٤١ ــ **المصنف في الأحـــاديث والآثـــار** : أبو بكـــر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، ط بدون ، المطبعة العزيزية ، حيدر آباد ، الهند ، ١٣٨٦ هــ .
٤٢ ــ **المعجم الصغير** ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، ط بدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـــ ـــ ١٩٨٣م .
٤٣ ــ **المعجـــم المفهرس لألفـــاظ الحـــديث النـــبوي** ، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ، ط بدون ، نشره ، أ . ي ، ونسنك ، مكتبة بريل ، ليـــدن ١٩٣٦م .
٤٤ ــ **المعجم المفهرس لألفـــاظ القـــرآن الكريم** ، محمد فؤاد عبد الباقي ، ط بدون ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هــ .
٤٥ ــ **النهـــاية في غريـــب الحـــديث والأثر** ، ابن الأثير تحـــقيق : محـــمود الطنـــاحي ، طـــاهر أحمد الزاوي ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـــ ـــ ١٩٧٩م .
٤٦ــ **نيل الأوطار** ، محمد بن علي الشوكاني ، ط بدون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م .

٤٧ ـ **هـواجس النسـاء** ، أسامة الشّواف ط١، دار الشّـواف ، الـريـاض ١٤١٤هـ .

٤٨ ـ **مجـلة كـل النـاس** ، السنـة الرابعة ١٨٦ ، الأربعاء ١ ديسمبر ، ٧ جمادي الآخرة ١٤١٣هـ .